

٢٣٩٢

٥٦٥٩



البعث العربي

المدد الأول المجلد العشرون

رجب ١٣٩٥ - يولو - أغسطس ١٩٧٥



شعارنا الوحيدي

جامعة

إلى الإسلام من حمدين

تصدر : في ندوة العلماء لكتبه (الهند)

البعث الإسلامي

رئيس التحرير: محمد الحسيني
مدير التحرير: سعيد الأعظمي

(ندوة العلماء)

قامت ندوة العلماء على مبدأ الجمع بين الدين الخالد الذي لا يتغير وبين العلم النامي الذي لا يتجدد بين صلابة الحديد في الثبات على العقيدة، وبين نعومة الحرير في اقتباس العلوم النافعة، وبينما العالم الديني في عقيدته و عبادته جبل ثابت ، إذا هو في علمه و دراسته و تقدمه نهر عذب جار، وبينما هو في نصوص الدين و عزائمها مرابط على الثغر و حارس للأمانة، إذا هو في تفسيمه و دعوته جندى مهاجم فليكن دورك فيها دور مرابط على الثغر حارس للأمانة أكثر من دور مشترك رسمي في مجلة ، أو زبون في محل تجارة ..
هو في الثاني لا يعرف الحدود.

* العدد الأول
* المجلد العشرون

* يوليو - أغسطس ١٩٧٥ م
* رجب ١٣٩٥

أخي المسلم

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية، جامعة

محمد الحسيني

سعيد الأعظمي

رئيس
التحرير

مدير
التحرير

الاشتراكات

المدارس

في الهند وباسستان عشرة روبيه - ثم السخمه ربیثا
في العالم العربي : جنيهان ونصف (استرليني) بالبريد العادي
// // // خمسة جنيهات (استرليني) بالبريد الجوي
في أفريقيا الجنوبية والشمالية ستة جنيهات (استرليني) بالبريد الجوي

العنوان: "البعث الإسلامي" دار العلوم لندوة العلماء لكونون، الهند
الهاتف: ٢٩١٧٤ - ٢٩٤٨٧

برقيا : Nadwa Lucknow.

الاشتراكات في باكستان: ترسل إلى مبادرة البلاغ ،
دار العلوم، ساراجي رقم ٤، باكستان.

في هذه العروض

سعید الاعظمى الندوی

حركة ندوة العلماء ودعوتها

التوجه الإسلامي

نظرة في سورة الاخلاص

المافقون في القرآن

ماذا يواجهها في الثلث الأخير من هذا القرن

بين الدين والدنيا

فضيلة الشيخ عبد العزيز على المطروح

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري

مالك بن نبي

الاستاذ أبو الحسن على الحسني الندوی

الدعوة الإسلامية

القرآن والعلم

نصر الله في واقع الحياة

عاصرة يواجهها العالم الإسلامي والعربي

الاستاذ شهاب الدين الندوی

الاستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله

الاستاذ أبوالحسن على الحسني الندوی

دراسات وأبحاث

المستحبات التي أقامها المسلمون

مهرجان تعليمي لندوة العلماء

الافتتاحية الإسلامية تطلب ارتباطين ل السياسيين الكاتبة الأمريكية المسماة مريم جليلة

أخبار إجتماعية وثقافية

هـ قلم التحرير ،

١٠

١٥

٢٣

٣٨

٤٦

٥٥

٦٤

٧٤

٨٤

٩١

٩٥

حركة ندوة العلماء ودعوتها

حقائق و معلومات

نستطيع أن نعبر عن حركة ندوة العلماء بكلمة واحدة أنها ثورة على
الحضارة الغربية و المناهج المادية في مفهومها الواسع .
و عن دعوة ندوة العلماء أنها خطوة جريئة إلى إيجاد الاتزان والجامعة
في الحياة الإسلامية .

و على أساس هذين التعبيرين يقوم كل منهج من مناهج التربية والعمل
التي تولى الإشراف عليها رجال هذه الحركة العظيمة ، كل في زمانه .

وفي ضوء هذين التعبيرين نستطيع أن نحدد أهداف ندوة العلماء والغاية
التي نشدت من وراء هذه الدعوة الثائرة و الحركة النادرة .

تصوروا تلك الفترة العصيبة من التاريخ التي عرفت بقسوتها البالغة وكانت
تبتلع جميع مقومات الحضارة الإسلامية و التراث الإسلامي ، و ترك المجتمع
المسلم في كل مكان جسداً ميتاً ، بادخال كل نوع من الخوف والذعر في قلوب
المسلمين ، و كل لون من اليأس و الانهزامية في حياتهم .

إنها فترة تمثلت فيها الحضارة الغربية فتية شابة ، حافلة بالنشاط و القوة
و العزيمة ، إنه القرن التاسع و العشرون ، قرن ازدهار الغرب و انحدار
الشرق ، قرن الاستيلاء المادي ، و الغلبة الصناعية ، و في هذا القرن بالذات
واجه التاريخ صراعاً عنيفاً بين الشرق و الغرب ، حاول الغرب أن يخضع

قوية لشن الغارة على الحضارة الغربية و قع مفتريات الغرب ورد أسطورة الفصل بين الدين و الدولة و إعادة الثقة إلى قلوب المسلمين بدينهم الحالى ، و حضارتهم المشرفة ، و مستقبلهم اللامع .

أدرك الشيخ محمد على المونكيرى في ذلك الوقت أن مستقبل الدين وال المسلمين في وجه خطر عظيم من الفلسفة المادية التي شغلت الطبقة المثقفة وسيطرت على عقول الناس ، و يكاد يختبب الهدف الحقيق عن أعينهم بحيث يذوب كل فرق بين الدين واللادينية ، وبين العلم والإيمان ويضيع المسلمين في خلافاتهم و قصر نظرهم وقلة معلوماتهم التي وجدت فيهم بفعل الحضارة الغربية ، وأفقلة هذا الشعور ، ورأى أن أكبر مصدر لفساد الذى يتسرّب إلى صفوف المسلمين و مجتمعاتهم إنما هو نظام التعليم السائد في المدارس والكليات والجامعات ، فلا بد من تغيير جذرى في هذا النظام ، و وضع نظام شامل متزن للتراث و التعليم يجمع بين أصالة العلوم الإسلامية و جزالة العلوم التطبيقية ، و بين حلاوة الإيمان وبراعة العلم ، و وجه دعوته لهذا الاصلاح إلى علماء المدارس وأساتذة الكليات والجامعات فقالت استجابة و قبولاً بوجه عام .

تحدث الشيخ المونكيرى عن العوامل التي دفعته إلى تأسيس ندوة العلماء فقال و هو يتأسف على سوء حال العلماء والمتخرجين من المدارس الإسلامية ، فيقول :

« أسفًا على أفواج المتخرجين من المدارس الإسلامية التي لا تستطيع الدفاع عن الإسلام و الرد على الشبهات التي أثارتها الفلسفة الجديدة و طبقة الملحدين ، الأمر الذي عم العالم كله ، و إن علماء الإسلام هم المسؤولون عن إزالة هذا الوضع بأى طريق يمكن ، إننى أرى أن هؤلاء المتخرجين

الشرق أمامه ويجبره على قبول حضارته المادية برمتها متخلياً عن كل ما عنده من قيم خلقية وعقائدية وحضارية ، ولكن حال دون ذلك علماء الإسلام في الشرق عن رزقوا الفهم السليم ، والقلب المؤمن ، وجمعوا بين الإيمان والعلم ، فلم يسمحوا للغرب بأن يتحقق ما أراد ، وأن يبسط نفوذه في حياة المسلمين المتسكين بالعقيدة الصافية .

و قامت من بين هؤلاء العلماء الغيارى جماعة من الروانين و في مقدمتهم الشيخ محمد على المونكيرى الذى تبنى فكرة تأسيس ندوة العلماء و تولى تنفيذها و وضع قواعدها ومنهاجها في جلسة عقدها في مدينة « كانفور » في ١٣١٠هـ - و حضر هذه الجلسة كبار علماء الهند من أولى الغيرة والعزمية ، و هنا قائمة أسمائهم :

- ١- شيخ الهند مولانا محمود حسن رئيس هيئة التدريس بدار العلوم ديواند.
- ٢- فضيلة الشيخ مولانا أشرف على التهانوى ، مدرس بمدرسة جامع العلوم كانبور .
- ٣- فضيلة الشيخ مولانا خليل أحمد السهارنورى ، أستاذ بدار العلوم ديواند .
- ٤- مولانا شاه محمد حسين الالم آبادى .
- ٥- مولانا السيد محمد على المونكيرى .
- ٦- مولانا اطف الله العلي كرهى .
- ٧- مولانا ثناء الله الأمر ترسى .
- ٨- مولانا نور محمد البنجافى .
- ٩- مولانا أحمد حسن الكانبورى .
- ١٠- مولانا شاه سليمان الفلواروى .
- ١١- مولانا السيد ظهور السلام الفتحبورى .
- ١٢- مولانا عبد الغنى خان مورشيد آبادى .
- ١٣- مولانا حكيم نخرالحسن الكنكوهى .
- ١٤- مولانا شاه نجم الدين حسين الميسنوى .

وابدى هذه النخبة المؤمنة ارتياحها بهذا القرار الخطير، واتخذته بالإجماع من غير أى خلاف أو تعديل ، و تم تأسيس ندوة العلماء في عام ١٣١٠هـ - ١٨٩٣م ، في العقد الأخير من القرن التاسع والعشرين ، و ظهرت جبهة

وَمَا اسْتَلْفَتْ نَظَرُ الشِّيخِ مُحَمَّدٍ عَلَى بُصْفَةِ خَاصَّةٍ هُوَ اَنْزَالُ عَلِمَاءِ الْاسْلَامِ عَنْ أَمْوَارِ الدِّينِ وَعَدْمِ خَبْرِهِمْ فِيهَا ، وَلَعِلَّ ذَلِكَ مِنْ أَهْمَّ الْعِوَافِلِ الَّتِي دَفَعَتْهُ إِلَى تَأْسِيسِ نَدوَةِ الْعَلِمَاءِ ، يَقُولُ :

« يَجِبُ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ جَمَاعَةٌ مِنْ عَلِمَاءِ الْاسْلَامِ لَهَا اطْلَاعٌ كَامِلٌ عَلَى أَحْوَالِ الدِّينِ وَأَحْدَاثِهَا ، فَشَلَا تَعْرِفُ الْحُكُومَةَ الَّتِي تَعِيشُ فِيهَا وَمِبَادِيَ حُكُمَّهَا ، وَمَا هِيَ عَلَاقَتُهَا بِهَا ، وَمَا هِيَ أَحْوَالُ الْمُسْلِمِينَ الدِّينِيَّةَ ، وَمَا هِيَ ضَرُورَاتِهِمْ ، وَمَا التَّأْثِيرُ الَّذِي يَخْلُفُهُ تَدَاوِلُ الْحُكُومَاتِ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ أَهْمَّ سَبَبٍ لِفَقْدَانِ الْعَلِمَاءِ ثُقُولُهُمْ وَتَأْثِيرُهُمْ فِي أَوْسَاطِ الشَّعْبِ ، هُوَ ذَلِكَ الْخِيَالُ الَّذِي عَمِّ فِيهِمْ ، مِنْ أَنَّ الْعَلِمَاءَ عَاكِفُونَ فِي الْحِجَرَاتِ ، وَلَيْسَ لَهُمْ عَلَاقَةٌ وَلَا صَلَةٌ بِأَحْوَالِ الدِّينِ ، وَلَذِكَ فَانْ تَوْجِيهُهُمْ فِي الْأَمْوَارِ الدِّينِيَّةِ لَا تَسْتَرِعُ أَيْ اهْتِامٍ » .

وَمَا استَبَرْ أَمْرُ نَدوَةِ الْعَلِمَاءِ وَتَزَادَ عَلَيْهَا الْأَقْبَالُ ، أَحْسَنَ الشِّيخُ مُحَمَّدٌ عَلَى الْمُونْكِيرِي بِضَرُورَةِ إِقَامَةِ مَدْرَسَةٍ تَكُونُ نِمَوذِجاً أَعْمَلِيًّا لِلنُّوعِ الْجَدِيدِ مِنْ عَلِمَاءِ الْاسْلَامِ ، النُّوعُ الَّذِي يَتَعَمَّنُهُ وَتَقْرِبُهُ عَيْنُ الْاسْلَامِ ، فَوْضَعَ خَطَّةً وَاضْحَى لِتَأْسِيسِ دَارِ عِلْمٍ ، وَعَرَضَهَا عَلَى أَعْصَمِ الْمَجْلِسِ التَّأْسِيسيِّ فِي ١٧ / حَرَم ١٣١٣ هـ بَعْدِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ مِنْ تَأْسِيسِ نَدوَةِ الْعَلِمَاءِ ، فَسَالَ هَذَا الْقَرْرَارُ إِعْجَابَ الْمَجْلِسِ التَّأْسِيسيِّ وَاتَّخَذَ بِاجْمَاعٍ مِنْ جَمِيعِ الْأَعْصَمِ ، وَقَدْ أَشَارَ الشِّيخُ الْمُونْكِيرِي إِلَى الْمَدْفُ الَّذِي تَوَخَّاهُ مِنْ تَأْسِيسِ دَارِ الْعِلْمِ هَذِهِ ، يَقُولُ :

« إِنَّ الْغَاِيَةَ مِنْ هَذِهِ الْخَطَّةِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ طَلَابٌ يَتَحَلَّوْنَ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْإِهْتَامِ بِأَمْوَارِ الدِّينِ بِحِيثَ يُؤْثِرُوا فِي غَيْرِهِمْ ، وَيَتَربُّوَا عَلَى الشَّجَاعَةِ ، وَعَلَوْ الْهَمَةِ وَالْطَّموْحِ وَالسَّمْوِ الْفَكْرِيِّ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الْأَمْوَارَ لَا تَتَحْقِقُ بِصُورَتِهَا الْوَاقِعِيَّةِ مَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ دَارُ عِلْمٍ ، وَلَا بَدْ مِنْ الْبِرَاعَةِ فِي جَمِيعِ الْعِلْمِ الْاسْلَامِيِّ لَا سِيَّماً فِي عِلْمِ الْكَلَامِ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ مُحَارَبَةِ الْإِلْهَادِ وَالرَّدَّةِ » .

لَمْ يَتَعَمَّقُوا فِي الْعِلْمِ الْدِينِيِّ وَلَا فِي الْعِلْمِ الْفَلْسُفِيِّ رَغْمَ أَنْ درسُوهُمَا ، فَنَّ الَّذِي سَيَقُومُ بِوَاجْبِهِ هَذَا الدِّينُ ، وَمَا يَعْتَدُ عَلَى الْأَسْفِ الشَّدِيدِ أَنْ هُوَ لَآءٌ لَا يَسْتَطِعُونَ أَنْ يَقُومُوا بِوَاجْبِهِ مِنَ الدِّينِ وَلَا أَنْ يَتَوَلَّوا أَمْرًا مِنْ أَمْوَارِ الدِّينِ ، يَيْنَا يَتَطَلَّبُ الْعَصْرُ الْحَاضِرُ رِجَالًا جَامِعِينَ بَيْنَ الدِّينِ وَالدِّينِ » .

وَالْعَلِمَةُ السَّيِّدُ عَبْدُ الْحَمِيمِ الْحَسَنِيُّ ، الَّذِي اخْتَيَرَ نَائِبَ الشِّيخِ مُحَمَّدٍ عَلَى بَعْدِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ مِنْ تَأْسِيسِ نَدوَةِ الْعَلِمَاءِ ، يَلْقَى ضَوْمًا عَلَى بَعْضِ أَهْدَافِهِ ، فِي خَطَابٍ تَأْيِيْدِي أَلْفَاهُ فِي إِحْدَى حَفَلَاتِهِ :

« هُنَاكَ عَدَةُ عِوَافَلٌ لِمَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَدَهُورٍ وَانْخِطَاطٍ كَبِيرٍ ، أَوْلًا : انْزَالُ عَلِمَاءِ الْاسْلَامِ عَنْ مَعْتَرِكِ الْحَيَاةِ ، وَلَا شَكَ أَنْ كَلَّا مِنْ هَذِينَ الْعَامَيْنِ يَؤْدِي إِلَى النَّتْيُوجَةِ السَّيِّئَةِ الَّتِي تَرَاهَا الْيَوْمُ ، وَلَكِنْ عَزْلَةُ الْعَلِمَاءِ نَاشِيَّةٌ عَنْ دَمْعَاهُمْ عَلَى أَحْوَالِ الْعَصْرِ وَقَضَائِيَّةِ الْحَيَاةِ ، وَلَسَدَ هَذَا الفَرَاغَ قَامَتْ جَمَاعَةُ عَلِمَاءِ الْاسْلَامِ أَوْلَى الْبَصِيرَةِ الْدِينِيَّةِ وَالْفَهْمِ السَّلِيمِ بِتَأْسِيسِ نَدوَةِ الْعَلِمَاءِ . »

لَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَمَتَّعُونَ بِالْعَزَّةِ وَالْحُكُومَةِ ، وَالْعِلْمِ وَالْفَنِّ وَالْحَضَارَةِ وَالْتِجَارَةِ ، وَكَانُوا ذُوِّيَّ كَفَةً رَاجِحةً فِي الدِّينِ وَالدِّينِ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَا انْخَطُوْا أَحْاطُوهُمْ الشَّقَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى جَمِيعِ مَتَلَكَاتِهِمْ وَخَصَانِصِهِمْ أَعْدَأَوْهُمْ ، وَانْسَحَبُوا عَلَى مَيْدَانِ الْحَيَاةِ ، وَأَصَيبُ الْأَغْنِيَّاتِ ، بِالْتَّرْفِ وَنَهْبِ الْلَّذَّاتِ . ارْتَمَى الْفَقَرَاءُ إِلَى الشَّوَّارِعِ وَالْأَبْوَابِ يَتَسَوَّلُونَ ، وَبَلَغُوا مِنَ الذَّلِّ وَالرَّخْصِ مَبْلَغاً رَثِيَّاً لَهُمْ فِيهِ كُلُّ أَمَةٍ حَتَّى أَعْدَأَوْهُمْ ، فَكَيْفَ نَرْجُوا أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِمْ سَابِقُ حَالِهِمْ ، إِلَّا أَنْ يَنْقُلَبُ الْوَضْعُ وَيَعْقُدَ كُلُّ فَرْدٍ عَزِيزَتِهِ عَلَى التَّخْلُصِ مِنْ هَذِهِ الْعَارِ ، وَلِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْغَرضِ أُقْبِلَتْ نَدوَةُ الْعَلِمَاءِ ،

التجربة الإسلامية

- ★ نظرات في سورة الاخلاص
- ★ المنافقون في القرآن
- ★ ماذا يواجهنا في الثالث الأخير من هذا القرن
- ★ بين الدين و المدنية

الفكرة بكل قوّة . . . وفي ١٤ / جادى الأولى ١٣١٣ هـ وضع الشيخ المونكيرى نظاماً متقنًا للتعليم و التربية لهذه الدار ، استوعب جميع العلوم والفنون التي لا غنى عنها في الزمن الحاضر ، و وضع دستوراً جاماً لندوة العلماء و دار علومها ، فكان ذلك خطوة مؤقة في مجال العمل ، و توسيع نشاط التعليم و التربية .

و من هنا توسع نطاق العمل الذي تحمل عبئه الشيخ محمد على المونكيرى فقضى الله تعالى له رجالاً أكفاءً عاملين ذوى مؤهلات عظيمة ، و خبرات واسعة في مجال التربية و التعليم ، وفي مقدمتهم الكاتب الإسلامي الكبير العلامة شلي النعماني الذى أشرف على نظام التعليم ، و على تنفيذ برامجه و مراقبة سيره ، واستطاع أن يكسب لندوة العلماء شهرة واسعة و قد تقدّمت ندوة العلماء في عصره تقدماً ملوساً ، إذ أنه كان جد حريص على إنشاء جيل من العلماء يحملون رسالة ندوة العلماء و فكرتها ، يقول في مناسبة :

فقدت العلوم اليومنية تأثيرها ولا خطر على الإسلام منها اليوم ، وقد احتلت مكانها علوم حديثة و قضائياً جديدة ، و دراسات و أبحاث جديدة ، وقد أصبح من الضروري أن يطلع علينا على الأبحاث الجديدة ، و العلوم العصرية المقيدة ليقدموا حلولاً للمعضلات الحديثة ، و ليردوا أعلى الشبهات ردآ عابياً مؤسساً على الدراسة و التحقيق ، [الصراع بين الفكرة الإسلامية و الفكرة الغربية للأستاذ الندوى] :

لقيت فكرة ندوة العلماء كل ترحيب وتأييد من جميع الجهات و القطاعات ، و وصلت شهرتها إلى العالم العربي فزارها علماء العرب ، ورأوها عن كثب ، (البقية على ص ٩٤)

المطلق إلا لله وحده ، كما لا يصح النفي على الاطلاق إلا مع الاستشعار
باثبات وجود الله سبحانه في كل مكان يليق بجلال قدسه وإحاطة علمه إذ
لا يستطيع إنسان ما أو أكثر أن يقول ليس معنِّي أحد (في حالة النفي)
أو يقول لا يقدر على أحد (في حالة التحدى) لأنَّ سبحانه مطلع على خلقه
وهو معهم أينما كانوا « و هو القاهر فوق عباده و هو الحكيم الخبير » وفي
 الآية السابعة من سورة المجادلة « ألم تر أنَّ الله يعلم ما في السموات وما في
الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم
ولا أدنى من ذلك و لا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم يذنبُم بما عملوا
يوم القيمة إنَّ الله بكل شيء عالم »

وقد جاء في سورة البلد آيات أربع ابتداء من الآية الرابعة حتى السابعة
وردت فيها كلمة (أحد) وهي : « لقد خلقنا الإنسان في كبد . أیحسب
أنَّ لن يقدر عليه أحد . يقول أهلكت مالاً لبدآ . أیحسب أنَّ لم يره أحد ،
ولا يخفى ما في ذلك من الاستفهام الاستنكاري ، فكلمة أحد : للذوات العقلاء
كلمة : من : وذلك كقولنا : من في البيت ؟ بمعنى أنَّ البيت أحد ؟ وعليه
معنى الآية « قل هو الله أحد » أنه سبحانه ذات واجهة الوجود مهمنة عليه .
متسمنة على عرش كل ذرة من ذراته . أو خلية من خلاياه . كما جاء في ختام
سورة يس : « فسبحان الذي يده ملائكة كل شيء وإليه ترجعون » ويدِه
سبحانه ناصية كل دابة . مصداقاً لقوله جل شأنه في سورة هود « إني توكلت
على الله ربِّي و ربِّكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إنَّ ربِّي على صراط
مستقيم » (الآية ٥٦) و قوله سبحانه في سورة المؤمنين : « قل من يده
ملائكة كل شيء و هو يجير و لا يجار عليه إنْ كنتم تعلمون » (الآية ٨٨)

نظارات في سورة الاخلاص

فضيلة الشيخ عبد العزيز على المطوع

قل هو الله أحد : من البداية والفطرة في الإنسان وما وصل إليه من
تعاليم الرسل الكرام : ووحدانية الله الأزلية اللامائية المنفردة بذاته وصفاته
سبحانه ، لا رب للعالمين غيره ، ولا إله يعبد بحق سواه .

و لعله أصبح من المأثور لدى الكاتب والمحدث والسامع والقارئ
جميعاً ، أنَّ معنى كلمة أحد هو (واحد) و لكن في معناها ما هو أعمق
من ذلك ، حيث لم يأت في اللغة أنَّ معنى لفظ (أحد) هو (واحد) إلا
إذا كان اللفظ مضافاً كما في أحد الناس أو إحدى النساء وكذلك في الأعداد
المركبة كأحد عشر أو إحدى وعشرين .

و تأتي كلمة (أحد) للذوات العقلاء في ثلاثة مواطن : الإثبات ،
والنفي ، والتحدي أما الإثبات فإنه لم يرد بالنسبة لخلقِ إلا في القليل النادر ،
كان يقول قائل : ليس في البيت أحد (في حالة النفي) فإذا سمعه فرد أو أكثر
في الدار قال : — نحن هنا : ردآ على هذا النفي غير الصحيح ، و بغير ذلك
لا أعتقد أنَّ لها في باب الإثبات مجال آخر .

و قد افتتحت سورة الاخلاص بالإثبات وهذا أمر خاص باليه سبحانه
و من هذه الآية يتبيَّن أنَّ الله ذات واجهة الوجود ولا يصح إثبات الوجود

(الآيات ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ من سورة مريم) .

وحدانية كل مطلق غير محدود ، و ليست وحدانية عدد لأن الواحد في الحساب قد يفيد القلة كما يفيد الرقم الأول فقط تعالى الله عن ذلك علوأ كبيراً ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عالم ، . و كما جاء في ختام سورة (الاخلاص) « و لم يكن له كفواً أحد » . ومن آية الكرسي في سورة البقرة « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يتوده حفظهمها وهو العلي العظيم » و قوله أيضاً « ليس كمثله شيء و هو السميع البصير » على أن الوحدانية القهارة موجودة في كل آية من آيات كتاب الله ولا سيما السور الثلاث : الفاتحة ، و الناس ، والفالق ، ففي البسمة توحيد ، وفي قراءة الحمد لله رب العالمين توحيد وكذا الشأن في كل آية بعد ذلك وقد جاء في الآخر أن في سورة الاخلاص صفة هذه الوحدانية وأنها أزلت عندما قال العرب لخاتم رسول الله صف لنا ربك .

على أن هذه الوحدانية موجودة بالفطرة في كل إنسان عاقل بقيدها العلم كلما تقدم . فالإنسان هو وعاء العلم وبالعلم فضل آدم على الملائكة الكرام في الملاطفة الأعلى .

و معنى ازدياد العلم في الإنسان محاولة اكتشاف علم ما وراءه و هنا تتساءل : إذا كان و لا بد من الاعتقاد بأن وراء علم هذا الإنسان علوماً واسعة لم يصل الإنسان إلا إلى النزر اليسير منها – فان ذلك يوحى للعالم أن وراء هذا الكون مكوناً و وراء هذا الابداع مبدعاً يحاول الإنسان جهده أن يكتشف ما يستطيع أن يكتشفه من أسرار و مكونات ، و من أبسط الأمثلة

الله الصمد : و الصمد من بصد جميع ما يحتاج إليه الأخلاق و يحفظها الله الصمد ، و تطلق لغة أيضاً على من لا جوف له فلا يأكل ولا يشرب و يهمن عليها ، و تطلق لغة الأكل و الشرب ، تعالى الله عن ذلك علوأ ولا يحدث له ما يترتب على الأكل و الشرب ، كيـرا ، و من معانى الصمد أنه صامد للوجود كله و تصمد إليه جميع الخلق ، وقد أورد بعض المفسرين في تفسير كلمة الصمد ، أنها تشمل صفات الكمال كلها الله جلت عظمته ، فإذا ما وجب علينا في حالة النفي الاستشعار بوجود العلي القدير وجود هيمنة و علم ، وجب علينا أيضاً الاعتقاد بأن هذا الوجود لا يتعريه نقصان و لا زوال و لا تأخذه سنة ولا نوم « ما تكون في شأن ما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كما عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربكم من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا في كتاب مبين » (الآية ٦١ من سورة يونس) . فإذا قال فرد أو أكثر مثلاً و هو يتناول طعامه (إنه لا يأكل مع أحد) فالجواب على ذلك هو الله أحد معلم و لكنه صمد منه عن الأكل و الشرب ، و عن كل ما لا يليق بجلال عظمته سبحانه و تعالى ، وفي باقي هذه السورة ، ما يوحي المعنى المتقدم فكما أنه جل شأنه لا يأكل و لا يشرب فإنه لم يلد و لم يكن له كفواً أحد .

ولعلنا نستطيع أن نقول خلاصة لما تقدم أنه سبحانه منفرد بالعلو اللامائي في غير بعد و بوحدانية صمدانية خلائقه و سعت كل شيء رحمة و علماً . غبية عن السلف ، قادرة على الابداع والحفظ وال إعادة ، صامدة للوجود كله ، لا محل فيه لشأن كذلك أو كفو ، « إن كل من في السماوات والأرض إلا آن الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعداً . و كلهم آئيه يوم القيمة فرداً ،

كل إنسان شاء أُمّ أبي ، وَ الْعِلْمُ يَهْدِي لِلإِيمَانِ مَصْدَاقُ قَوْلِهِ سَبَّحَانَهُ فِي (الآية ٢٢ من سورة الروم) :

وَ مَنْ آتَاهُ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافَ أَسْنَكِمْ وَ أَوْانِكَ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِلْعَالَمِينَ .

(وفي الآية السادسة من سورة سباء) :

وَ يَرَى الَّذِينَ أَوْتَوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صَرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ .

(وفي الآية ٢٨ من سورة فاطر) :

وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِ وَ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَوْانِهِ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْتَنِي اللَّهُ مِنْ عَبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ .

وقال جل شأنه :

قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تَؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أَوْتَوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يَتَّلَقُونَ بِالْأَذْقَانِ سَجَداً ، (الآية ١٠٧ من سورة الاسراء) .

وقال سبحانه :

وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أَوْتَوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَنَجَّبْتُ لَهُ قُلُوبَهُمْ وَ إِنَّ اللَّهَ هُدَى الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صَرَاطِ مُسْتَقِيمٍ .

(الآية ٤٤ سورة الحج) .



سُؤال يطرح نفسه فهل لك أنها الإنسان رأى أو مشاركة في خلق أو في نظام ذرة واحدة من ذرات الكون الباسة أو خلية واحدة من خلاياه الرطبة ؟ فإذا كان الجواب لا : فمن هو ذا يا ترى ؟ وإنه لتغلب الحيرة والبلبلة والظننة على الكثيرين . فيسمون ما يعتقدون وجوده قوة خارقة ، وعلم ما وراء الإنسان - بالطبيعة تارة ، واللامادية تارة أخرى ، والدهر ثالثة ، مع أنهم لم يأتوا بوصف أو كنه لهذه الطبيعة أو الدهر أو اللامادية .

و السؤال الذي يفرض نفسه إذا كانت هذه الطبيعة أو اللامادية أو الدهر أو غير ذلك من المسميات عافية قادرة سمعية بصيرة عالمه موصوفة بصفات الكمال كلها ، تنشئ وتطور و تكون و تبدع و تنظم و تحفظ ، فإذا نسمتها إذا لم نسمها الله ؟ و الفرق بيننا وبينهم إذن هو مجرد التسمية ، والمعبود يتحقق عندنا هو القوة المبدعة لهذا الوجود و المهيمنة عليه و المنظمة الحافظة له التي نسميها : الله - فإذا سماها الآخرون بلغاتهم باسم آخر فلا يضر ذلك عقيدة التوحيد بشيء ، وقد قال الأقدمون من قبل ما قاله الطبيعيون « تشابهت قلوبهم » و ذلك كما جاء في الآية ٢٤ من سورة الجاثية : « وَ قَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حِيَاةُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الْدُّهْرُ وَ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يُظْنُونَ » .

و قد جاء في الأثر عن الرسول ﷺ : « لَا تُسْبِّوا الْدُّهْرَ فَإِنَّ الدُّهْرَ هُوَ اللَّهُ ، أَمَّا إِذَا كَانَتِ الطَّبِيعَةُ كَمَا يَعْتَقِدُونَ صَدَّامُ عَمِيَّاءُ جَاهِلَةُ ، فَإِنَّ فَاقِدَ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ ، وَ كَيْفَ خَلَقْتَ لَنَا الطَّبِيعَةَ سَمِعاً وَ بَصَراً وَ هِيَ لَا تَعْرِفُ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ ؟ »

على أن العلم و الفطرة كفيلان بتوكيد وجود الخلاق العليم في تصور

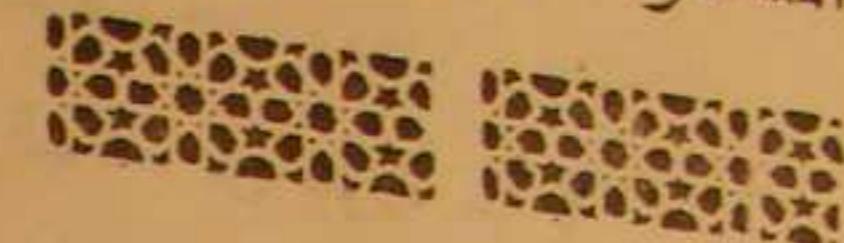
وحشة من وحى الله أولاً ومن عباد الله القائمين به ثانياً) فهذه الأمثال التي ضربها الله في القرآن تصور لنا الأعاجيب من أحوال المنافقين المحوطة بالظلمات المعنية المتراكمة / الممثلة في مستوقد النار والمشوبة بالرعب والأهوال واضطراب الأحوال المتمثلة في الصيب الذي حظ صاحبه منه وحشة الظلمات وهو الرعد و القلق من البرق والانزعاج من الصواعق والفرع والروع والتسادي في الحيرة التي لا يستطيع صاحبها السلوك ، فما أروعه من تصوير حالة المنافقين في مذبذبهم الذي يعيشون فيه بين لقائهم لمؤمنين وخداعتهم لهم واستهزائهم بهم وبين عودتهم للشياطين من رؤساء الفتنة والضلال مؤكدين لهم أنهم معهم على الكفر و متارجحين بين طلب الهدى والنور ما يرجعون إليه من هدى و ضلال .)

فهذه أربع عشرة آية من أوائل سورة البقرة في المنافقين وأكثر منها وأكثر في سور آل عمران ، و النساء ، و المائدة ، و الأنفال ، و التوبة ، و النور ، و الأحزاب وغيرها ، فقد أكثر الله العظيم من فضيحتهم وكشف أنواعهم و هتك أستارهم و بيان صفاتهم المطردة إلى يوم القيمة لأنهم شر من الكفار الصراحه و أعظم خطرآ في كل زمان و مكان .

خذ مثلاً في زماننا الشيوعية كفرها صريح مفضوح و أهلها صراحه بإنكار الله وكل مسلم يستوحش منهم ، و لكن هنا أصحاب المبادئ المادية و نحوها من يشنّم الشيوعية و يتبعجون بالاعتراف بالله أو الإيمان بالله وهم لا يرجون الله وقاراً ولا يتقيدون بأوامره ، و لا يحرمون ما حرمه من الخور و الزنا حالة الرضا ، و لا يحكمون بشرعيته ، و لا يقيمون شيئاً من حدوده ، فما قيمة هذا الإله عندهم ؟

صفوة الآثار و المفاهيم :
من تفسير القرآن الكريم :

المنافقون في القرآن



فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري

و أما المنافقون فقد عميت قلوبهم و لم تتجاوز أبصارهم الظلمة ولم يروا إلا ما أخبرنا الله عن رؤيتهم له بقوله :) يكاد البرق ينطفأ أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه . و إذا أظلم عليهم فاموا و لو شاء الله لذهب بسمعهم و أبصارهم ، إن الله على كل شيء قادر ، فهم خائدون على أنفسهم مستوحشين من الرعد العظيم واضعين أصابعهم في آذانهم لثلا يسمعوا الصوت ، وليس بنافهم ذلك وقد هاجم مشاهدة البرق الذي يكاد ينطفأ أبصارهم يختلسها و يستلاماً بسرعة من قوة ضوء المناري لأن أبصارهم أضعف من أن تستثبت أمامه ، فكلها أضاء لهم الطريق في الظلمة مشوا في مطرح نوره خطوات قليلة و إذا أظلم يعني خفي البرق عليهم و استبر وقفوا في أماكنهم حائرین يذظرون فرصة إضافة مرة أخرى و هكذا لا ملجاً لهم من الهالك ، و لو شاء الله لذهب بسمعهم و أبصارهم فهو قوي على ما هو أعظم من ذلك . و لكن لم يشاً بذلك حكم و مصالح هو بها عالم حكيم .)

فالوحشة لازمة للمنافقين و الرعب و الفزع لا يفارقون لأن قلوبهم في

الثالثة : اختلف العلماء في الرعد والبرق ، فقال ابن الجوزي في تفسيره مانصه (والثالث أنه نار ينقدح من اصطاك أجرام السحاب لسيره وضرب بعضه البعض قاله شيخنا) و هذا بعد حكايته للقول الذي يوحيه الحديث ، و قال القرطبي : (و قالت الفلسفه الرعد صوت اصطاك أجرام السحاب والبرق ما ينقدح من اصطاكها وهذا مردود لا يصح به نقل ، والله أعلم . و قد روى الترمذى عن ابن عباس في حديث طوبيل قال سألت اليهود النبي ﷺ عن الرعد ما هو قال مالك من الملائكة معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله فقالوا فما هذا الصوت الذي نسمع فقال زجره السحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر الله قالوا صدق ، الحديث بطوله ، و على هذا التفسير أكثر العلماء و قاله الإمام علي رضي الله عنه واختلفوا في البرق ، فروى عن علي و ابن مسعود رضوان الله عليهم البرق محرق حديد يد الملك يسوق به السحاب ، و فيه أقوال أخرى ، و لكن ينبغي الوقوف عند الحديث و عدم الخروج عنه تقليداً لأقوال الأجانب فأن هذا من الانهزامية العقلية و كل مؤمن بالملائكة يهضم المأثور ولا ينهرم (أما الصواعق فهي جمع صاعقة و هي صوت شديد من صوت الرعد تقع معه قطعة من نار أو حديد تحرق ما تصيبه والله أعلم .

فوانيد مهمة في مادتي الإيمان والأخلاق

الفائدة الأولى : إن قبول الوعاء لما يوضع فيه مشروط بتخلته و تفريغه و تنقيته من ضنه فثلا الآباء الذي فيه ملح لا يصلح لوضع السكر حتى يفرغ من الملح و ينقى من رواسبه و حينئذ يصلح لوضع السكر و نحوه ، وكذلك الوعاء الذي فيه نفط أو وساخة لا يصلح لوضع ابن أو سمن حتى يفرغ من

إن من أعمل النظر في وحي الله عرف حكمه في الاكتشاف من كشف أوصاف المافقين ، وقد روى البخاري و مسلم و أصحاب السنن و المسانيد عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه قال : مثل ما بعثني الله عز وجل به من المهدى كمثل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طاقة طيبة قبلت الماء فأنبنت الكلا و العشب الكثير ، و كان منها أجادب أمسكت الماء ففُنِعَ الله بها الناس فشربوا منها و سقوا و رعوا وأصاب طائفة منها إنما هي قيungan لا تمسك ماء و لا تنبت كلا ، فذلك مثل من فقهه في دين الله و نفعه الله بما بعثني به فعلم و علم و مثل من لم يرفع بذلك رأساً و لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ”

(فوانيد) الأولى : قوله « يكاد » و كاد من أفعال المقاربة يعني قارب و يقارب و هي كلمة إذا أثبتت اتفق الفعل و إذا نفيت ثبت الفعل ، و قد ألغز فيها بعض المؤخرین سؤالاً فقال :

أتحوى هذا العصر ما هي كلمة جرت في لسانى جرهم و تمود وإن أثبتت قاتم مقام جحود إذا نفيت و الله يشهد أثبتت

و يشهد للاثبات عند النفي قوله تعالى : « لا يكادون يفهمون حديثاً و لا يكاد يلين ، و (لم يكدر يراها) و يشهد للنفي عند الاثبات قوله تعالى :

« يكاد البرق يختطف أبصارهم ، يكاد سنابرقه ، يكاد زيتها يضيء » .

الثانية : قوله تعالى : « و الله محبط بالكافرين ، الا حاطة كمال العالم و الادراك و كمال القدرة على الاحلاك فاته محبط بهم من كل المعانى ، كقوله تعالى : و لا يحسّن الذين كفروا سبقوه أنهم لا يعجزون » .

الحديث المتنوع من الأغانى الفاتحة والأقاصيص الماجنة فإنه لا يمكن أن يحل فيه حب وحى الله أو ذكره، كما قال ابن القيم:

حب الكتاب وحب الحنان الغناء في قلب عبد ليس يكتمعان
و الله ما سلم الذي هو دأبه أبداً من الاشراك بالرحمن
القلب بيت الرب جل جلاله حباً و إخلاصاً مع الاحسان
فإذا تعلق بالسماع أصاره عبداً لكل فلانة و فلان
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بشرائع الإيمان
و اللهم خف عليهم لما رأوا ما فيه من طرب و من الحنان
قوت النفوس وإنما القرآن قوته القلب أني يستوى القوتان
و لذا تراه حظ ذى النقصان كالجموال و الصيادان و النسوان
و لا شك أن من تعلق قلبه بغير الله يصير فيه نوع أو أنواع من
الشرك قد تخرجه عن الملة الإسلامية أن فضل ما أحبه أو ما يريده محبة
أو ما يفعله محبة على مراد الله و مرضاته فالقلب خطير جداً و لهذا قال
صلوة (إلا و إن في الجسد مضيعة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت
فسد الجسد كله ألا و هي القلب) فالحب لله و في الله هو خالص التوحيد ،
و أما الحب مع الله فهو شرك فان الشرك ليس مقصوراً على عبادة صنم
 وإنما هو يتمثل بانصراف القلب عن الله إلى غيره من أي محظوظ أو مرغوب
ولهذا قال صلواته تعس عبد الدرهم و تعس عبد الدينار .. إخ .

و كذلك اللسان إذا انشغل بالنطق الباطل من أنواع اللغو لم يتمك صاحبه من النطق بالذكر والتلاوة والكلم الطيب حتى ينفله عن الباطل ويفرغه لذلك و كذلك الأذنان إذا أصغتا لاستماع هو الحديث لم يبق فيها محل

البعث الإسلامي
النقطة الأولى في الارادات
و لا مناقشة ، و كما أنها في الذوات والأعيان فهي أيضاً في الإرادات
والاعتقادات بل في سائر الجوارح والأحاسيس إبّن آدم وأعظمها القلب ، فهو
أشرّها وأرهفها إحساساً ، فإذا كان القلب ممتلئاً بصنوف الباطل اعتقاداً ومحبة
لم يبق فيه محل لاعتقاد الحق ومحبته أبداً إذ لا يجتمع ضدان في وعاء واحد .
فلا بد للمسلم المؤمن من تصفية قلبه وتخليصه من حب فلان وفلان
و على الأخص ما يكرهه الله سبحانه أو يعاديه من الظلمة البغاء أو الفسقة
العناء أو الطواغيت الذين جعلوا لأنفسهم حق التشريع والتعمين رافضين ومحظى
الله زاعمين قسوة أحكامه أو عدم صلاحته للعصر وما أشبههم من أهل أى
نحلة ، فإن اشغال القلب بمحبتهم يحرمه من حب الله ورسوله قطعاً إذ لا يجتمع
في قلب واحد حبان متعارضان حب الله وحب أعدائه ، هذا من الحال
ولذا قال الله تعالى : « لا تجده قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من
من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم
أو عشيرتهم »

و كذلك إذا اشغل القلب بالشبهات الباطلة من النظريات والطراائق
و المبادئ التي تغزو بها المسؤولية اليهودية قديماً و حدثاً على الناس فإنه
لا يكون فيه محل لدخول الحق الحمدى أو قبوله بل يبقى و العياذ بالله غالباً
من حيثاً بصنوف الباطل ، وكذلك إذا حل في القلب حب الشهوات البهيمية
و أوقع فيها و اشغل بها فإنه لا يكون فيه محل قابل لحب ما يريد الله منه
اعتقاداً و عملاً بل لا يكون فيه قابلية لحب الله أصلاً و لا لحب ما يحبه الله
من أي شخص أو عمل ، و كذلك إذا اشغل بحب الغانيات و حب هو

وجهة نظر :

ما زا يواجهنا في الثلث الأخير من هذا القرن



مالك بن نبي رحمة الله

لا ندخل في التفاصيل ولكن نتساءل :

ما زا يواجهنا كمسلمين في هذه المرحلة بالذات . . . في الثلث الأخير من هذا القرن ؟ تواجهنا : حالة عالمية معينة إلى جانب أوضاعنا الاجتماعية التي يمكن أن نعبر عنها باختصار بكلمة « التخلف » وكل يدرك ما وراء الكلمة من أبعاد ثقافية و اجتماعية و سياسية .

الوضع العالمي :

إنه وضع خطير . . . خطير لأمرین :

١ - خطير في حد ذاته لأنه ربما يحمل في طياته مفاجآت و تغيرات عالمية جذرية و بطريقة لم تعرفها الإنسانية في شتى مراحل تاريخها .

٢ - خطير لكوننا لا نعلم هل نحن مهياًون لمواجهة هذه التغيرات أم لا ؟
ما معنى مهياًون ؟

ـ الشرط الأول : الاستعداد لمواجهة شيء هو معرفة الشيء ذاته ، وفي

هذا وجب علينا القول أن التيارات الفكرية غير مستعدة أبداً للقيادات السياسية فبعيدة عن هذا الميدان لأنها مشتغلة بأشياء تعتقد أنها أساسية وإن لا أريد أن أدخل في نقاش مع السياسيين ، لا أريد النقاش معهم إنما نحن نحاول توضيح حقائق متعلقة بي و بهم و بالإنسانية قاطبة .

و لا قابلية لاستماع ذكر الله و ما نزل من الحق . وهكذا كل جارحة يشغلها صاحبها بما لا يرضي الله لا يكون فيها قابلية للسعى في مرضاته وقد قال عليه عليه : (لأن يمتليء جوف أحدهم قيحاً حتى يربه خيراً له من أن يمتليء شعراً) و المقصود الشعر الفاتن المفسد للقلب بالاغرام على الفاحشة فكيف يمن يمتليء صدره بالشبهات و الشكوك و الحالات و النظريات الفاسدة والتقديرات التي لا وجود لها و سائر أنواع الدجل التي تتبه وسائل النشر الحديثة و العلوم المبدعة الفاسدة الضارة كنظريات (فرويد) وغيرها من طواغيت اليهود كسائل الجنس و الحكايات المأثنة و نحو ذلك من وحى شياطين الانس أعداء الرسل و أنعمهم إلى يوم القيمة ؟

لا شك أنها من الشعر المنصوص عليه في هذا الحديث و من المعلوم أن مهمه شياطين الجن و الانس غزو القلوب و إفسادها بكل وسيلة وإذا امتلاه القلب بهذه الأشياء لم يكن فيه محل و لا قابلية لأنوار القرآن و حقائق الوحي المنزلي على محمد عليه ، وكذلك إذا بذلت النصيحة لرجل قلبه يمتليء من صنوف وحى الشياطين المقدمة لم يكن فيه استعداد لقوتها .



المشكلات العالمية ليست ذات طابع اقتصادي و ليست ذات طابع سياسي إلى حد كبير و لا ذات طابع اجتماعي ، لأن المشكلات التي عالجها الفكر الماركسي في متوسط القرن التاسع عشر حلّت الآن ، لعل في كلامنا تناقضًا فيجب علينا زيادة الشرح .

لترك الجانب الفلسفى فى الماركسية و نمسك الجانب الاجتماعى . إننا لاننخلي في الترتيب التاريخي إذا قلنا إن الماركسية واجهت في منتصف القرن ١٩ مشكلات اقتصادية و اجتماعية . و قد نتج عن ذلك مطالب تجسّدت في شعارات « يا عمال العالم اتحدوا » ، اتحدوا طبعاً ضد الرأسمالية ، يا عمال العالم طالبوا بحقوقكم ... و تجسّدت أيضاً في توصيات : مطالبة الرأسمالية باعطاء حقوق العمال ، في الاضراب و التجمع و الضمانات الاجتماعية ، و عطلة شهر مع المرتب . هذه هي المطالب ، و لكن هل تحققت هذه المطالب ؟ تحققت أكثر مما كان يتصور ماركس و ينتظر ... فقد أصحَّ الانسان في العالم الغربي الرأسمالي يتمتع بكل الضمانات الاجتماعية مع شيء من الترف : ضمانات ترف . و هكذا نرى في هذه الحقبة من القرن ٢٠ أن مطلب ماركس (القرن ١٩) قد تحقق في البلاد الرأسمالية بأكثر مما تحقق في البلاد الشيوعية التي هي بدورها في طريق تحقيقها ... مما جعل حدة المشكلات التي واجهتها الماركسية في القرن ١٩ تزول إلى حد بعيد .

ليس في الأمر تناقض :

حين نقول إن المشكلات التي واجهها ماركس في منتصف القرن الماضي حلّت في البلاد الرأسمالية فإن هذا يشير عند الماركسيين ثورة و زوبعة و سخطاً ، أما بالنسبة لغير الماركسيين الذين ليست لهم خبرة بالموضوع فيرون ذلك متناقضًا

ماذا يواجهنا في الثالث الأخير من هذا القرن

البعث الإسلامي

الجواب عن السؤال : إننا غير مهيئين لا سياسياً و لا فكرياً لمواجهة المشكلات التي تعترضنا في هذه المرحلة وفي هذه الفترة من هذا القرن .

لماذا نبحث عن استعدادنا لمواجهة مشاكل العالم ؟
الأمر بسيط وهو أن العالم الإسلامي شاء أم كره يعيش هذه المشكلات العالمية . لأن من طبيعة المشكلات العالمية أنها تعكس على الأجزاء منها استقلت هذه بذاتها و انكمشت على نفسها : فالأحداث العالمية و المشكلات العالمية يصلنا صداتها و توثر في حياتنا و تقدر أقواتنا ، فلا بد إذاً أن تتجنب سلوك النعامة لأن من يعمد تجاهل الخطر المحدق به يكون واحداً من اثنين : مستهتر أو مجنون .

بعد هذا التعريف الوجيز لظاهرة « الوضع العالمي » ، نرجع إلى أوضاعنا الاجتماعية التي أوجزناها في كلمة « التخلف » . لتوسيع في هذا المفهوم لتسهل علينا فيما بعد المقارنة بين المشاكل التي يعاني منها العالم الإسلامي والمشاكل التي يعاني منها العالم الغربي .

في هذه المرحلة من الحديث يمكن أن نتساءل : ما هو التخلف ؟
ـ إنه مجموعة مشكلاتنا و هي ذات طابع اجتماعي سياسي و اقتصادي و (نفسى إلى حد ما) .

أما ما يواجه العالم فهي بالأخص مشكلات نفسية .
لاشك أننا إذا تعمقنا في تحليل مشكلاتنا وجدنا فيها نصيباً هاماً ذات طابع نفسى غير أن الغالب عليها هو الطابع الاقتصادي ، السياسي و الاجتماعي .
مطلوب ماركس تحقق أكثر في البلاد الرأسمالية :

أين تتحقق بكل وضوح الشروط المادية: أى المكان الحضاري . هل تتحقق في موسكو أم في نيويورك ؟
في نيويورك طبعاً . الامكان الحضاري في نيويورك و باريس ... أكثر منه في موسكو . و هذا أكثر بالخصوص في فترة انتقال الاتحاد السوفيتي من مجتمع مختلف إلى مجتمع متقدم . و هذا يؤكد أنه كان من الأيسر نظراً لتوفر الجانب المادي ، حل المشكلات التي واجهها ماركس في خصوص الرأسمالية . و من ذلك كله نلاحظ بكل وضوح أنه لا وجود لأى تناقض . حققت مطالب ماركس ... و من يداوى لها أمراضها !

العالم تعدى المرحلة التي كان يواجهها ماركس . ولكن نلاحظ شيئاً في هذه الرقعة التي تحقق فيها الامكان الحضاري وحلت فيها فعلاً المشاكل الاجتماعية التي قامت على أساسها الدعوة الماركسيّة : في هذه الرقعة ظهرت أمراض اجتماعية اجتاحت المجتمع بعد أن حلّت القضايا التي طرحتها ماركس .

و هذه المشاكل ليست من نوع اقتصادي و لكن من نوع نفسى . ولقد كنت في أول حدثي سمعت عمداً كلمة «نفسى» حين كنا تحدث عن الأمراض التي في العالم الاسلامي . حتى تظهر بكل حديتها في الرقعة المتقدمة . وفي العالم المتختلف تكددست المشاكل الاجتماعية الاقتصادية . ولكن في العالم المتقدم انبثقت مشاكل من نوع جديد : مشكلات نفسية .

فما هي هذه المشكلات ؟

هي باموال : حيرة في النفوس و شعور بعدم الاستقرار . وهذه مشاعر الانسان المتمتع بجميع الضمانات الاجتماعية .

فاحصائية الاتسحار في العالم أخذت رقها القياسي في أكثر البلاد تقدماً

ماذا يواجهنا في الثلث الأخير من هذا القرن

البعث الاسلامي

غير أنه لا وجود في رأينا لتناقض . يجب فقط أن نحدد المصطلحات أمام هذه القضية . تطلق أولاً من مفهوم الحضارة . هي مجموعة الشروط المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر جميع

الضمانات الاجتماعية لكل فرد يعيش فيه . وهذا ليس تفسير «تومبي» و من شاهبه . والعرب يعانون من عقدة ازاء بعض الغربيين فيتبعون تعريف تومبي . . . يجب أن ندرس مشاكلنا بأنفسنا لأننا نحن فقط نسمها لسا - أما تومبي وغيره فهم يدرسوه و يفكرون فيها و يتذمرون منها . . . أما نحن فنسمها .

أنا عشت وأعيش هذه المشاكل . فتحديد الحضارة ليس تحديد تومبي . و لا يمكن أن يكون تحديده كما أنه لا يمكن أن يكون تحديدي للثقافة كتحديد (Levy - Strauss) لأننا نعيش المشكلات و الآخرون يفكرون فيها . . . فهناك فرق كبير جداً .

و بناء على تحديد مصطلح الحضارة نفصل جانبيين :
ا - الجانب المعنوي (الشروط المعنوية) .
ب - الجانب المادي (الشروط المادية) .
نجعل هذه الشروط المعنوية (و ربما تدركون لماذا) في كلمة نسميها : الارادة الحضارية :

و نجعل الشروط المادية في كلمة نسميها :
الإمكان الحضاري :

وإذا تحقق أحد هذين الأمرين فقط في المجتمع فإن هذا المجتمع لا يستطيع أن يتحقق الضمانات الاجتماعية لكل أفراده . فلا بد من توفر الشرطين . ونتساءل :

إن الغيب بيد الله ... إننا نقدر من الأمور أبسطها .

لا شك أن كل التطورات تنبع من هذا و ذاك . من التخلف والقدم الحاصل لمرض الروح و النفس ، وكل الأحداث التي سوف يعرفها عالما في الثلاثين سنة المقبلة ستكون نتيجة التفاعل بين التخلف المادى (العالم الإسلامي) و التخلف الروحي (العالم المصنع) .

هذه صورة المشكلة العالمية بوجهها . الصنف الاجتماعي و الاقتصادي (و تأثيره في المجال النفسي) و الصنف الروحي (و جوهر مشاكله روحية) هذه هي الخريطة العالمية التي سيحدث إن شاء الله في نطاقها التفاعل بيننا وبين الآخرين و بينهم و بيننا نحن .

نصيف شيئاً من ناحية أخرى و هو توضيح لمرحلة تمنا نحن المسلمين ... ليظهره على الدين كله و لو كره الكافرون :

كل واحد منا يعرف الآية : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره الكافرون » .
هذا وعد من الله . فهل تتحقق ؟

هذا الوعد قد تحقق و في هذا القرن بالذات . و قد يبدو في الأمر غرابة أو عدم وضوح .

عندما نزل القرآن هل كان تتحقق وعد الله في انتصار الإسلام على المسيحية و اليهودية و البراهمنية و البوذية و الماجوسية . أى كل الأديان الموجودة آنذاك ؟ ذلك هو معنى الآية السكرية على الأقل . ناق الآن لهذا القرن ، و نظر إلى خريطة الأديان و الأيديولوجيات في العالم .

أذكر أرقاماً قرأتها في الجغرافيا الإنسانية في صغرى أذكر أن الأديان

ما زلنا في الثالث الأخير من هذا القرن
البعث الإسلامي
من حيث الضمانات الاجتماعية وهي السويد . أما في الولايات المتحدة فالاتجار
يوصف بأنه كارثة وطنية .
تضيف إلى هذه ظاهرة « المبي » (Hippies) و المخدرات .. فالمخدرات
ليست إلا محاولة خروج اصطناعي من المأوى . هو هروب من الواقع .
فسوغ كل مخدر عند المدمن هو هروبه من الواقع . غير أن البلاد التي حققت
هذه الضمانات الاجتماعية أصبحت تعاني مشكلات نفسية و تزيد أن نعرف
نتيجة هذا كله .

نتيجة هذا ظهرت منذ أيام في تصريح خطير للنكسون « يخطر بيالي الآن
مصير اليونان و روما في طور أفولهما . إن الولايات المتحدة سوف تكون
أكبر دولة في السنوات العشر المقبلة . ولكنها هل ستكون الأكثر سلامنة
(من الناحية الاجتماعية و النفسية) ، وحذر نيكسون من اللامبالاة والاستقالة
من التاريخ .

هذه صيغة المسألة كما يصوغها الواقع ، حتى إن نيكسون و هو إنسان
يواجه مسؤوليات على المستوى العالمي اضطر وفرض عليه الوضع المتدهور إلى
التحذير و التنبؤ و تحذير الهمم .

لنا الحق إذاً عندما نقرر أن مجتمعنا الإسلامي يواجه مشكلات اقتصادية
اجتماعية حادة جداً مقابل مجتمع متقدم مصنع يواجه مشكلات نفسية حادة
جداً أيضاً .

أما مشكلاتنا فهي تابع لظروف و ليست جوهريّة جداً .
لكن مشكلاتهم أساسية و جوهريّة جداً .
هذه هي المقارنة .

ما زلنا في الثالث الأخير من هذا القرن ؟

و البرهانية من علامات محوها فشلها الفظيع في أخطر القضايا المعاصرة التي جاهاها : قضية المبودين . و هي القضية التي عرضها غاندي على الضمير الهندي و سطّرها في الدستور . غير أنها لم تحل . و لقد أثبت ذلك عجز البراهمانية على مواجهة مشكلة ذات طابع اجتماعي .

أما اليهودية فهي لا تعد دينا بأتم معنى الكلمة هي سياسة ... أو دين ... أو ... هي دين عنصري لا يطلب من أحد الدخول فيه ولا يبشر .

و هذا الدين الجديد : الماركسية :

غير أنها نلاحظ شيئاً و هو أن ديناً جديداً بدأ يلقى لونه الأحمر على الخريطة الأفكار . و هو الشيوعية . وقد اكتسح لونها رقعة كبيرة من الأرض الصين و شرق أوروبا و الاتحاد السوفيتي .

إذا لم يبق حقاً على الخريطة كعقيدة إلا الإسلام و الشيوعية فهنا فقط يحرّكان الجماهير وهذا يجب أن نلفت النظر بعض الضواهر : ظاهرة عدم استقرار العقيدة الشيوعية في الاتحاد السوفيتي .

إنها متصدعة . و الدليل على ذلك تأخذه من أفواهم : في المؤتمر ٢١ للحزب الشيوعي السوفيتي في سنة ١٩٥٦ ، و هو تاريخ مبكر . صرّح كروتشكوف بقول غريب ترتب عن الأزمة بين الصين والاتحاد السوفيتي من الناحية النظرية السياسية .

قال كروتشكوف : إن من واجبنا تدعيم الطاقة العاملة بالبنية المادى ، الجماهيرية فقد انتهت حتى إن الديار لم يجد في أغلب البلاد متقطعين . أما البوذية

يقول هذا أو مثله لاعدم في الحين .

و لما سمع ماوتسى تونغ بذلك وهو الوفى لفلسفة ابنين تزعزع من حوله

ماذا يواجهنا في الثلث الأخير من هذا القرن

البعث الإسلامي

كانت على التحوّل التالي :

مسيحية : ٦٠٠ مليون

اليهودية : ١٤ مليوناً

بوذية : ٥٧٠ مليوناً

الإسلام : ٤٠٠ مليون

براهمانية : ٤٥٠ مليوناً

و الشيوعية - عندها - ما زالت لم تظهر بعد كدين .

أما اليوم ، ماذا نجد لو نظرنا إلى خريطة العالم ؟ نجد أن الأديان التي نزلت في حقها الآية زالت كلها ، المسيحية مسحها التاريخ وفي هذا المجال نذكر أتنا قرآن تحقيقاً هاماً أصدرته احدى الصحف الفرنسية (Nouvel Observateur) عنوان هذا التحقيق (! Ans c'est assez 2000) سنة كافية ! و المقال يحتوى أرقاماً و أحداثاً عما حصل بأمريكا اللاتينية ، فرنسا ، إنجلترا ، إيطاليا و المانيا .

منذ ٧ أشهر حصل من بين ما حصل ، فضيحة كرالا ، و هي مقاطعة هندية سافر إليها أحد القساوسة الظليان . قس يهود بأمر دينه و متعلق بمسجده أراد أن يوجد رهاناً لديه . و مشكلة الأديرة تشكل أعراض قضية عندقيادة المسيحية لزمرة المستعدين لتحمل المسؤولية . حصل أن هذا القس لم يجد لتجنب غلق أبواب ديره إلا شراء بنات فقيرات من هذه المقاطعة الهندية لليسين القدس فكانت الفضيحة التي نشرتها صحيفة إنجلزية و تناقلتها الصحف العالمية .

المهم أنه لم يبق من المسيحية إلا الهيكل الإداري (الفاتيكان) أما القاعدة الجماهيرية فقد انتهت حتى إن الديار لم يجد في أغلب البلاد متقطعين . أما البوذية فقد مسحها ماوتسى تونغ مسحا .



و أظن أنها كانت تحت المراقبة . وفي يوم ما كنا عائدين من زيارة في السيارة ، وكانت معنا فطلبت منها أن تنزل لمنزلها لمدة قصيرة فأذنا لها . وعادت و معها بعض التمار قطفتها من حديقتها . و تكررت على و على الاخ الذى كان يرافقنى ، و قد لاحظ السائق هذا التصرف . . . و لم نرها بعد ذلك اليوم لو كنا فى وقت ظهور الاسلام لقليل فيها بمصطلحات اهل الشرك حين يظهر على الانسان ملامح الاسلام لقد صبا ، فلقد بدأت في نظرهم تصا .

ثم عوضوها بشاب مال إلينا و ملنا إليه و لم نغير سلوكنا . فلما اطمأن
إلينا بدأ يقدم وساطته في تحويل العمالة في السوق السوداء .

و لا شك أن هذا خروج و انحراف عن خط الصعود في الدورة الحضارية ذلك الخط الذي لا يتصور مثل هذا التصرف .

ثم وقع حديث مع هذا الشاب ونحن نتناول الطعام وكينا نلاحظ عليه
الضعف بالحياة الناعمة و كانه يأسف أنه ليس في الغرب .

هذه هي الأوضاع الموجودة في العالم : إن الغرب انتهى بشيوعيته
و مسيحيته . . . إن الأزمة النفسية طغت على العالم المسيحي و بدأت تهش
هيكل العالم الاشتراكي . إذن في نظرة بعيدة المدى للتطور في الثلاثين سنة القادمة
ان شاء الله سوف تكون المعركة بين الاسلام و الشيوعية .

لأنها ؟
لكن هل سنترك هذه المعركة لشأنها ؟

أُس ثالث في الصراع

إن الرقة التي زال فيها الاستقرار النفسي تقع تحت السيطرة المباشرة للصهيونية بمعنى هذا أن كل إمكاناتها الحضارية فريسة الصهيونية.

الكون وقال لهم «إنكم كفراً بamarكية ، لقد خرجمتم عن الطريق السوي ، ثم كان من المشاكل ما نعرف جمِعاً ...»

... أخيراً هذه سنة تقريراً وقع تحقيقه في الاتحاد السوفييتي تحت اشراف
أكاديمية العلوم التي يشرف عليها عالم رياضيات ، عالم اجتماع ، مؤرخ ، وكلهم
في العظام. كانت نتيجة تقريرهم الذي قدم للثالث القائد: بودقورن ، بريجنيف ،
كوسينين : إن الطاقة المنشئة و قوى الابتكار قد هبطت في كل الميادين ،
معنى هذا أن الاتحاد السوفييتي لم يبق في مرحلة الصعود في الدورة الحضارية ،
فقد أصبحوا يبحثون عن الأكلة الطيبة والقصور والمع .

أما الصين فهي لا تزال في المتعلق . فهي تحافظ على حدتها وإن ظهر بعض التخفيف فيها . يمكن لنا القول أن المجتمع الماركسي السوفياتي قد خرج من المرحلة الحضارية الأولى و سار شوطاً في المرحلة الثانية و بذلك ابتعد كثيراً عن منابع العقيدة و عن منبع الطاقة الدافعة . ولقد سافرت إلى الاتحاد السوفياتي وتجولت في بعض المدن: موسكو ، لينينغراد ، سيرنند ... وشاهدت وضعية الشباب هناك وضعية لا تقارن بوضعية الشباب في الغرب من حيث الانحلال .

و لكن عندى ملاحظات و ذكريات خاصة أكيدت لي وجود شئ هن
الفور . لست ذلك في بنت و شاب .

البيت ذات خصصت لنا مترجمة . الكلمة الأولى بعد أن تعارفنا ولاحظت
منا عطفاً و تلطفاً ، ولم يبق عندها شك أو ريبة في إنسانيتنا . الكلمة الأولى
لتى انطلقت بها هي : إن أرغب في المحب ، عندكم لاعمل .

المعركة أن اكتسحت الشيوعية العالم و انتصبت عليه . و ذلك لا دراكم أن
شيوعية لا تهيء حالة الاستقرار النفسي الذي تطمح إليه كل نفس .

أما إذا انتصر الإسلام فان التاريخ ينتهي و تأتي نقطة النهاية بالنسبة
للسماحة . و يتحقق بذلك وعد الآية الكريمة ليس فقط بالنسبة للاديان
المعاصرة لظهور الإسلام بل حتى بالنسبة للافكار التي أصبحت عقيدة و ديناً :
الشيوخية .

نفهم من هذا أن الثلاثين سنة القادمة إن شاء الله سترى المعركة الطاحنة ،
المعركة العقائدية بين الشيوعية والاسلام (بين الفكر والإيمان) . ولكن
تدخل المسيحية بحاب الشيوعية تدخل محكماً . ولا يعني هذا أن المسيحية
لا تقوم مباشرة بعض الأعمال منها تكسير هوامش دار الاسلام .

فالاسلام مثل القارة الوسيطة ولهذه القارة هوامش . فكما لا روايا هوامش
مثل انجلترا و ايرلندا و مالطا و صقلية ، لدار الاسلام هوامش مثل الفلبين
و اندونيسيا و افريقيا الوسطى و المسلمين السود في الولايات المتحدة . هذه
هي هوامش الاسلام . و مع الملاحظ أن المسيحية تبذل مجهودات كبيرة
و بالاخص بعد سفر « بولس السادس » للشرق الاقصى . فبمجرد ما رجع
بدأت المذاجح في سيلان و اندونيسيا (انظر كتاب غارة بشرية على اندونيسيا)
فالعملية التي تقوم بها المسيحية من درجة ، عملية توجيه لحركة و قطع
الهوامش حتى لا تزداد رقعة دار الاسلام في الامتداد .

الفكرة القومية العربية لا تحل القضية . . . و بقدر نجاحنا في الداخل يكون نجاحنا في الخارج :

نعود الآن لمسألة الثانية . نقر بأن الثلاثين سنة المقبلة حاسمة ستكون

حدثنا منذ أيام السيد (Benoit Mechin) المؤرخ الفرنسي عن لقاء له مع شخصية كبيرة في وزارة الخارجية الأمريكية قال : قلت له إنكم (الولايات المتحدة) تساندون إسرائيل ، فعقب عليه المسؤول الأمريكي و صرح : نحن نساند إسرائيل ، لسنا نساندها .

هذا هو الواقع الامريكي ، فالمساندة تأتي عادة من القوى للضعف غير أن الحال عكس هذا .

و هكذا يصبح الصراع بين ثلاثة عناصر : الاسلام و الشيوعية و هما العنصران الفعالان و عنصرا التفاعل النفسي و الأخلاقى في العالم . هو صراع صامت الآن و لعله لن يبق كذلك . أما العنصر الثالث فهو الصهيونية .

الصهيونية من عادتها ، من ٢٠٠٠ سنة تقريباً و هي لا تتدخل في قضية ما سافرة الوجه بل تتدخل مقنعة بقناع الديمقراطية ، الانسانية ، العدالة ، وفي المستقبل نرى أنها سوف تتدخل بقناع المسيحية .

لكن لماذا بقناع المسيحية ؟

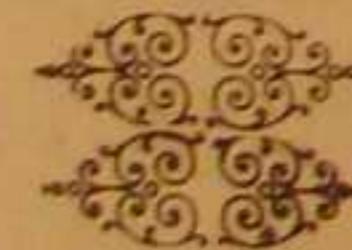
المسيحية أمام قوتين متصارعتين إحداهما توحد الله والأخرى تنفي وجوده، و منطقاً وجب على المسيحية أن تؤيد الإسلام . لكنها على عكس ذلك فهي تريد الانتصار للشيوخية على الإسلام ، شئ يحب على الشباب المسلم أن يدركه جيداً : إن المسيحية تدرك أن الشيوخية غير مستقرة ... وأنها لا تتشيّء ولا تخالق ، (ولا تدعى ذلك لأنها تنفي هذا الجانب) حالة الاستقرار النفسي . فماركس قال املأوا البطون و اتهى كل شيء .

عيادة المسيحية ترى أنها خسرت القضية حالياً و لكنها سوف تكسب

الخريطة بلون عقيدة واحدة أما الاسلام أو الشيوعية و من ورائها المسيحية و عندما نقدر شروط انتصارنا في هذه المعركة نراها موقوفة على معركة داخلية حل قضية التخلف على أساس حضاري . وعندما يهيا الظرف الملائم كي يستطيع العالم الاسلامي دخول المعركة العالمية مصنف من عقده النفسية .

كلمة أخيرة :

هذه هي الوصية تتوافق بها و أشعر و أنا أتحدث إليكم بأنني أوصيكم بشئ خطير لأننا لا نراها بل نحن مشغولون بمشاكلات أخرى . و القادات الثقافية لا ترتفع لهذا المستوى ، فهي لا زالت في محيط ضيق وإن ارتفعت أصبحت وحدوية تصادى بالوحدة العربية . تتوافق بهذه الحقيقة و نعمل بمقتضاها و على كل واحد أن يصحح ما سمعه مني ويكلل ما نقص في حدثي لأنني اختصرت و لم أدخل في التفاصيل . . . ولقد كنت وصيت الشباب المسلم في كثير من البلدان بهذه الوصية . . . والله يؤيدكم و السلام عليكم .



أخطر مرحلة في تاريخ الانسانية لأنها سوف تجتمع فيها السلطة الروحية حول منبع واحد إما شيوعية أو إسلاماً . و لا فائدة في التذكير بالدور الذي تلعبه المسيحية أي الصهيونية المقنعة .

و ينبع على العالم الاسلامي أن يعرف و يعي معنى هذه المرحلة الخطيرة في العالم و يقتضي معنى هذه المرحلة يتوجه مشكلاته الحقيقة التي يعيشها في عقر داره . و إن نجاحنا في المعركة العالمية سوف يكون بقدر نجاحنا في معركتنا الداخلية .

و حل هذه المشاكل لا يمكن إلا على أساس حضاري أما الحل السياسي فلا يمكن و كل الحلول الأخرى غير مقبولة : الفكرة القومية العربية لا تحل القضية أبداً و لقد بدأت تكون عندنا بعض الخبرة على النطاق الوطني . إن حل المشاكل لا يمكن أن يكون في مجال قطري فلو أردنا التشبه ببلجيكا لما استطعنا لأننا لو فعلنا بذلك عن أوروبا لانهارت و سقطت .

إن مشاكلنا لا يمكن أن تحل في نطاق قطري ، و لقد أراد بعضهم أن يعرض الفطر بحدود القومية فظهر أن القومية وضعت حدوداً أخرى و بدت طاقات أخرى في الفطر الواحد كانت متجمعة قبل ذلك : هذا أصبح بعثياً و ذلك ناصرياً .

لم يبق إلا شيء واحد وأظن أن الفكر الاسلامي بدأ ينضج عند الشباب وغير الشباب هو أن القضية بالنسبة لأى مجتمع قضية حضارية أساساً ثم تصير و تتجزأ إلى فضايا فطرية جهوية .

نحن إذن نطالب بمواجهة المعركة الكبرى التي ستؤول نتيجتها إلى تلوين

على كل فان ارتفاع هذا الصوت على لسان الفلسفة مهما كان ضعيفاً ومتاخراً من أوانه ولكنه لم يكن خالياً من فائدة ، ولقد صنف الامام الغزالى كتاباً سماه « تهافت الفلسفه » كرد على الفلسفه بعد ما تشيع من الفلسفه وثارت في نفسه شكوك منها . وقد أثار هذا الكتاب سخطاً في الأوساط الفلسفية .

إن القاضى ابن رشد (الذى توفي بعد الغزالى بسبعين سنة) و الذى كان يعتبر من كبار دعاة الفلسفه اليونانية و أنصار فلسفة أرسطو ، رد على الغزالى بكتابه « تهافت التهافت » مدافعاً عن جماعته ، إنه يقول في موضع في كتابه هذا ، متحججاً ضد مباحث الغزالى و تصريحاته الفلسفية « هذا كله عندي تعد على الشريعة و خص عما لم تأمر به الشريعة لكون قوى البشر مقصورة عن هذا . وذلك أن ليس كل ما سكت عنه الشرع من العلوم يجب أن يفحص عنه و يصرح للجمهور بما أدى إليه النظر أنه من عقائد الشرع فإنه يتولد عن ذلك مثل هذا التخلط العظيم فينبغي أن يمسك عن هذه المعانى كل ما سكت عنه الشرع ، و يعرف الجمهور أن عقول الناس مقصورة عن الخوض في هذه الأشياء » . (١)

أما الكتاب الذى صنفه في الرد على المتكلمين باسم « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة » ، و أثبت فيه قوة الاستدلال القرآني و تفوقة إزاء أسلوب الاستدلال الكلامي بقطعية ، و الذى يعتبر نموذجاً جيداً لسلامة فهمه إنه أبان فيه في عدة مواضع بعجز الجمهور عن إدراك هذه الأمور والسائل إنن أوفق رأيه هذا كلياً ، بأن قوى البشر و عقولهم مقصورة عن إدراك هذه المسائل و البحث عنها و التأمل فيها و لكننى لا أعتقد الفلسفه إلا بشراً ،

(١) تهافت التهافت ص ١١٠

بين الدين و المدينة

الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى
تعریف : الأستاذ شمس الحق الندوى

الفلسفه الدينية :

من تمام العدل أن ننتقد في هذه المناسبة تلك الفلسفه التي نشأت بازاء الفلسفه القديمة للدفاع عن الدين ، و لكنها لم تكن الفلسفه بذاتها و إن كانت تشبهها في الموضوع و في طريق البحث و الاستدلال و الفكر الأساسى ، أعني محاولة إثبات ذات الله و صفاته ، و قضائها ما وراء العقل ، عن طريق العقل - و هما بالرغم ، من الخلاف و الصراع بينهما تتجاذبان في الأساس ، و أعني بالفلسفه الدينية هذه علم الكلام ، ذلك الذى حل و دق هذه المسائل الامامية و قضايا ما بعد الطبيعة ، مثل الفلسفه و أنت بتدقيقات و تعميرات عرفت بها الفلسفه و لكنهما كانتا تختلفان كل الاختلاف في نتائج تفكيرهما وأهدافهما . و سوف لا تخلو قصة هذه الفلسفه من طرافة ، و هي أن هذه الفلسفه

الدينية عندما برزت لمحاربة هذه الفلسفه و الهجوم عليها ، بنفس الأسلحة ، رد بعض الفلسفه وقتذاك هذا الهجوم بسلاح كان من شأنه أن يستعمل في مواجهة هذه الفلسفه وكان ذا تأثير عميق في هذه الحرب ، ذلك ماعسى أن يكون قد نسيه علماء الكلام بتاتاً من أجل استغلالهم بالمحاربة الكلامية و ضرجيج السؤال والجواب ، و أعني به تحديد العقل الانساني و نقد وسائل العلم ، ومن العجب العجاب أن المتكلمين ما تنبهوا لها على رغم ما سمعوه من لسان الفلسفه ، و ما زال الفريقان آخذين بتلايب بعضهم البعض ، إلى قرون طويلة باحثين في المسائل والبحوث الفروعية بصرف النظر عن هذا البحث المبدئي .

بكل موجود ، و هذا - في نظرى - خطأ مُحض ، فهو قوانين إنسانية ، و إن تساخنا قليلاً إنها قوانين عالمنا هذا ، و لستا نستطيع القول بأنما تنطبق على غير عالمنا أو لا تنطبق - فاصدار حكمنا على الله على اعتقاد أنها قوانين شاملة للإنسان والله جرامة لا يرتضيها العقل الذي يعرف قدره ولا يغدو طوره و ليس هذا عيب المعتزلة وحدهم بل هو عيب من آن بعدم من علماء الكلام كذلك (١) .

٢٤٢٥٦٥٩

الاشراق :

بازاء حركة «العقلانية والفلسفه» حركة قديمة أخرى وهي الاشراق والروحانية ، وكانت مصر والهند مركزاً كبيراً لهذه الحركة في الزمن القديم ، و نالت هذه الحركة قبولاً في اليونان و الروم : بتأثير الديانات الشرقية و اختلاط المصريين ، كرد فعل طبيعي للعقلية المتجاوزة عن الحد ، ولكن مركزها الكبير الذي ازدهرت فيه هي الإسكندرية التي كانت مجمعاً كبيراً للعقلية الشرقية و الغربية و الديانات ، وهي كانت في مصر نفسها ، و المبدأ الأساسي لهذه الحركة و لهذا النظام أن الحواس و العقل ، والعلم ، و القياس ، والاستقراء و البرهان و الاستدلال ، و النقد و التحليل لا يقيد في معرفة الحق و اليقين أي فائدة ، بل يضر ، و لا بد من المشاهدة لحصول الحق و الصدق على وجه اليقين ، و لا يمكن هذه المشاهدة . إلا بتبنّيه حاسة داخلية من نور الباطن و تزكية النفس . الحاسة التي تدرك الروحانية و ما وراء الطبيعتين ، كما تدرك العيون الأشياء الظاهرة ، و لا تتبّع هذه الحاسة إلا إذا قضى على المادية و أثبتت الحواس الظاهرة ، و لا يمكن تحصيل الحقائق إلا بهذا العقل

(١) ضحي الإسلام ص : ٧٠ .

و ما كان أفلاطون . و أرسطو ، و الفارابي ، و ابن سينا . و ابن رشد نفسه إلا أفراداً من النوع البشري فيما أعتقد .

وكانت طبقة المعتزلة أكثر تورّاً وأخذت للعقل من بين هؤلاء الفلسفه الدينيين الذين قاسوا الله على الإنسان والآخرة على الدنيا ثم بحثوا عنهم من حيث الأحكام الإنسانية وقوانين هذا العالم ، بغاية من الجرامة والحرمية مأة في المائة ، و بصرف النظر عن حدود العقل تماماً ، لعلماً يكون هذا الضعف في المرحلة البدائية للعقلانية (عند ما يكون العقل في دور الطفولة) إن (١)

عالماً معاصرًا و فلسفياً ناقداً سليم الفهم ، و مؤرخاً مادحاً للمعتزلة و معترفاً بخدماتهم العلمية ، يحدث عن ضعفهم هذا بانصاف و صراحة يقول :

« ولعل نقطة الضعف فيهم أنهم أفرطوا في قياس الغائب على الشاهد أعني في قياس الله على الإنسان . و إخضاع الله تعالى لقوانين هذا العالم ، فقد ألموا الله - مثلاً - بالعدل كايتصوره الإنسان وكما هو نظام دينوي ، وفاتهم أن معنى العدل - حتى في الدنيا - معنى نسيبي يتغير تصوره بتغير الزمان ، وأن ما كان عدلاً في القرون الوسطى يعد ظلاماً الآن ، فكيف إذا انتقلنا من عالم الدنيا إلى عالم الله - وكذلك الشأن في قولهم في الحسن و القبح و الصلاح و الأصلح - إنما نرى أن الإنسان إذا صاق نظره حكم على الأشياء حكماً ، فإذا اتسع نظره تغير حكمه (٢) .

وكذلك قولهم في أن صفات الله هي عين الله أو غير الله ، كل براهينهم مبنية على قياس الغائب على الشاهد ولكن الشبه معدوم وقد فرضوا أن

الغيبة و الغيرية و الزمانية و المكانية و السبيبة و المسببة و نحوها قوانين لازمة

(١) الدكتور أحمد أمين المصري .

(٢) ضحي الإسلام ص : ٦٩ .

ولكنا نرى أن في محسوسات هذه الحاسة وتحقيق هذا العلم تعارضًا واختلافًا أكثر مما يقع في محسوسات الحواس الظاهرة، وفي علوم أهل الكشف والاشراق من التناقض ما لا نظير له إلا في الفلسفة فيما أظن.

خذوا الاشراقية الجديدة مثلاً، فان في عقائد رانديها وأعمالهم خلافاً شديداً، إن مؤسس الاشراقية الجديدة (فلاطينس) (Plotinus) لا يعترف بنظام عصره الديني والعبادات بل إنه فيلسوف حر لا يؤمن إلا بالتفكير والمراقبة، ولكن تلميذه النجيب «بارفرى» (Porphyry) زاهد متقدس وصوفي.

كان فلاتينس يعتقد أن الروح الإنسانية تنتقل إلى قل الحيوانات، ولكن بارفرى منكر (١) لذلك، والإمام الثالث الأكبر لهذا الموضوع هو براكليس (Proclus) الذي كان خاضعاً لتقالييد مصر الدينية وعاداتها جمعياً، وكان يعبد الشمس في النهار ثلاث مرات، أما دينه الذي كان يدين به فكان من بجاً لمعتقدات مختلفة ومذاهب متعددة وكل هؤلاء كانوا من أهل المشاهدة واليقين.

ثم هذه الاشراقية الجديدة التي كانت منافسة للسيجية بقيادة بارفرى ساعدت جوائن (Julian) في عصره في حركة إحياء الوثنية الرومية والجاهلية، (Paganism) وأيدت بمحاس الوثنية والجاهلية المشركة تأييداً كبيراً (١) - حتى إن نور الاشراقيين وقوه باطنهم، لم يمنعهم عن هذا العمل القبيح بل ربطت الاشراقية الجديدة مصيرها بسفينة هذه الجاهلية الغارقة. كما صرخ بذلك محاضر دائرة المعارف للدين والأخلاق.

ولا بد من التصریح بحقيقة أن الكشف والاشراق كانوا قد نالا أهمية

(١) موسوعة الدين والأخلاق (Nesplationism).

الخاص الصميم (حكمة الاشراق) و بهذا النور الداخلي (نور الباطن) الذي يتولد بالمجاهدات، وإماتة النفس، والفكر والمراقبة.

والمقيقة أن كلاً من الفلسفة والاشراق يعمل فيهما عقل واحد وروح واحد، كما أنهما يجتهدان في الفلسفة وعلم الكلام لمعرفة الحقيقة، وكلاهما يستيقن أنها يستطيعان معرفتها بجهودهما الشخصية - بل الحق أن غاية الحواس والفلسفة والاشراق، واحدة، وإن اختلفت الطرق، فواحد يريد الوصول إليه شيئاً على الأرض، وآخر عن طريق التخلق في الجو أو عن طريق خفي من سرداد، ولا شك في أن ما وراء المادة عالم آخر لا تدركه الحواس الظاهرة، وكما أن عند الإنسان قوة باطنية وحاسة داخلية، لو أثارها الإنسان ورباها لاستطاع أن يدرك كثيراً من عجائب هذا الكون ووجوداته التي لا يمكن إدراكها بحاسة من الحواس الظاهرة.

ولكن ماذا أنتج ذلك؟ سوى إثبات حاسة باطنية غير هذه الحواس الظاهرة، وإثبات علم لا يمكن إدراك حقائقه وأسراره بالحواس الحس.

وأقول إن وجود هذه الحاسة الزائدة أمر لا شك فيه، بل يمكن أن تكون هناك حواس أخرى كهذه. كما يصح أن تكون هناك عوالم أخرى غير هذا العالم تستوجب للاطلاع عليها وإدراكها، وجود قوى تليق بها وتناسبها. وعلى كل فانها حاسة إنسانية، ضعيفة، محدودة، مثل الحواس الأخرى، ذات أخطاء، وتفاعل مع الأشياء كسائر القوى الإنسانية الأخرى، وકسائر وسائل الكشف للعلم، وما الدليل على أن هذه الحاسة ليست محدودة ولا خاطئة، وليس في محسوساتها بل مشاهداتها واقع من الخطأ والعجب بالنفس.

لو كان الأمر كذلك لما كان في نتائجها تعارض ولا تناقض، ولم يخالفها خاطر شك ولا ارتياح، ولم تقع زلة ولا خطأ في قضايا كبيرة و مهمة.

الدعوة الإسلامية

★ القرآن و العلم
في ضوء بعض المبادئ و الأصول
★ نصر الله في واقع الحياة

و يقيناً كبيراً بين الصوفية المسلمين ، حتى إنك لنجد فيهم اتجاهات ومحاولات لمشاهدة الحق واليقين عن طريق الكشف على أن وسيلة ذلك لم تكن لديهم إلا شخصية الرسول عليه السلام والعلم الذي جاء به إليهم أما الرسالة التي وجهها الشيخ محي الدين ابن عربى إلى الإمام نفر الدين تختوى على ما يلى :
« ويحل لله سبحانه أن يعرفه العقل بنظره و فكره فينبغي للعاقل أن يخل
فله عن الفكر إذا أراد معرفة الله من حيث المشاهدة » .

و يستمر في كلامه ثم يقول : « فارفع الهمة من أن لا تأخذ علماً إلا منه سبحانه على الكشف عند المحققين أن لا فاعل إلا الله ، فاذن لا يأخذون إلا عن الله ، لكن كشفاً لا عقلاً وما فاز أهل الهمة إلا بالوصول إلى عين اليقين أنفقة بقاء مع علم اليقين (١) » .

و كذلك المرحلة التي اطمأن فيها قلب الإمام الغزالى في رحلة البحث عن الحق و اليقين هي أن مشاهدة الحقيقة وعين اليقين لا يحصلان إلا بطريق الريانة كما صرحا بذلك في كتابه « المنقذ من الضلال » يقول :

« واعلم أنه هو الحق اليقين عند العلماء الراسخين في العلم أعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن و مشاهدة الباطن أقوى و أجل من مشاهدة الأ بصار و ترقى فيه عن حد التقليد إلى الاستبصار (٢) » .

إن أهل الكشف والاشراق من المسلمين يتحمل كشفهم و مشاهداتهم أيضاً الخطأ ، و الخلاف و التعارض فان واحداً منهم يعارض آخر و يثبت أن كشفه بعيد عن الحقيقة غير مطابق للأصل ، وقد يحمله على السكر و غبة الحال ، وقد يقول إن هذه المرحلة مؤقتة بدائية يمر بها السالك و يتقدمها ، و هنالك تبدو له مشاهدات وكشوف خلاف مارأه في المرحلة الأولى .

« يتبع »

(١) أيضاً . (٢) برواية « كتاب النبوات » للإمام ابن تيمية .

يوجد له نظير في أي كتاب آخر ، فيجب أن تتأمل فيما يقدم إلى العقول المريضة من علاج . و كيف يجري عليها العملية الجراحية و يطعمها بما يeed جرثومة الداء و يحل محلها عناصر العبودية و اليمان .

موضوع القرآن و أهدافه :

لابد من التأكيد قبل كل شئ أن القرآن لا يختص بعلم خاص أو فن من الفنون . إن موضوعه الأساسي (Basic Subject) هو هداية النوع البشري كله ، و معنى ذلك أنه يتولى هداية الإنسان الفكرية بايصاله ما بين الإنسان و الكون و الله من علاقة ، و يهيء غذاء دسمًا لروحه ، و يمكن أن نعبر عن ذلك بشئ من التفصيل : إن القرآن يتوكى إصلاحاً شاملًا للمجتمع الإنساني كله في جميع المجالات الفكرية والعقائدية والأخلاقية و الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية ، و يريد أن يجعل هذا المجتمع إلى أسرة بشرية واحدة ولكن هذه الغاية لا تتحقق ما لم يكن العقل البشري مدركاً كل الادراك ذلك الترابط القائم بين الكون و الإنسان و رب ، و الغاية من وجود الكون .

ولذلك يوضح القرآن نوعية هذا الترابط و يقدم الفكرة الأساسية للتوحيد و الرسالة و المعاد ، إذ أن المحور الأصيل الذي يدور حوله جميع تعاليم القرآن و توجيهاته هي هذه الأعمدة الثلاثة ، و هي التي يقوم عليها بناء هذا الدين ، و لا يعزز عن البال أن الأمم الصالحة في العالم - سواء في التاريخ القديم أو الحديث - إنما صلت في إدراك مفاهيم هذه الأمور الثلاثة ، فيتعرض القرآن لذكر و تأكيد هذه الثلاثة ، وكل ما فيه من البراهين والحجج ، العقلية منها و المطافية ، و كل ما فيها من آيات و دلائل آفاقية و نفسية ، كل ذلك يدور حول هذه المفاهيم الثلاثة ، و يوضحها بكل أسلوب .

القرآن و العلم في ضوء بعض المباديء والأصول

الأستاذ شهاب الدين الندوى
رئيس تحرير مجلة « ندى فرقان » ، معرب ،

القرآن في العالم المعاصر :

القرآن كتاب حي خالد وسيدوم كذلك في كل زمان ومكان ، لاتنتهي عجائبه مما تقدم العالم و تحضر ، و قد أودع الله فيه من الحجج و البراهين و العلوم و المعارف ما تقف عنده العقول ، و يندفع له الذكاء البشري ، حتى لا يسع أي إنسان أن ينكر أنه كتاب الله ، إلا من أغلق قلبه و غاف بصره ، و قد جعله الله تعالى كتاب كل عصر و جيل ، و عندما كان الناس يندوون الفصاحة و البلاغة كانوا يخضعون أمام علو هذا الكتاب . و سمو مكانه الأدية المعنوية ، ولكن الناس في العصور التالية لما فقدوا ملوك التذوق و التفهم و لم يعد لديهم ذلك المستوى العالي لفهم الدفاتق الأدية و البلاغية نفتحت أمامهم أبواب أخرى لما يحتوى عليه هذا الكتاب من خصائص و مزايا ، و طقووا يندهشون إزاء راينها العقلية و المنطقية . ثم أتى على الناس حين من الدهر وقفوا فيه حائرين أمام عظمة تعاليه العقلية و الفطرية و اندفع نوع البشرى كله لشمول هذه التعاليم و عمومها .

و نحن الآن في عصر العلم Science ، الذى أصبح اليوم حديث المجالس و موضوع الدراسات ، و تعود الناس بوجه عام أن يقيسوا أمورهم و قضائهم بمقاييس العلم و ينظروا إليها بنظره ، فإن القرآن لا يختلف في هذا المضمار أصلًا بل و يتقدم إلى العقول الجديدة والأفكار بزاد من العلم و التحقيق لا يكاد

الإيمان و قوته ، و بزيادة هذه الحرارة تزداد الحياة نضوجاً في الأخلاق و السيرة و جميع مناحيها ، حتى تنفجر جوانبه من الورع و التقوى و الظهر و العفاف ، و تلك هي الغاية الأصلية المنشودة من حياة الإنسان .

ومن أجل ذلك فان القرآن لا يقتصر بدعوة الإنسان إلى دراسة الكون و التفكير فيه مراراً و تكراراً ، بل إنه يبعشه على ذلك من أساليب مختلفة و طرق متعددة ، إن طريق القرآن الأصيل ، أنه لا يكرر الاشارة إلى العلم و العقل و المنطق خسب بل يذم التقليد الجاف .

• إن في خلق السماوات و الأرض و اختلاف الليل و النهار و الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بث فيها من كل دابة و تصريف الرياح و السحاب المسرح بين السماء و الأرض لآيات لقوم يعقلون (١) ،

و فيه من الآيات الدالة على هذا المعنى ما لا يأتى عليه الحصر ، إلا أن هذه الآية تجمع بيان جميع مظاهر الكون المهمة بغاية من الإيجاز ، والحقيقة أن تفسير هذه الآية وحدتها يتطلب سفرأً ضخماً ، وفي هذه المظاهر الكونية التي تناولها القرآن في هذه الآية بلاغ أي بلاغ لم تدبر وفكـر ، و أراد أن يتوصل إلى معرفة خالق هذا الكون و ما فيه من آيات و عجائب ، وفي الأرض آيات للوقنين ، وفي أنفسكم أفلات بتصرون ، (٢) .

و لقد أثبتت الله سبحانه و تعالى دلائل قدرته و ربوبيته ، و آيات وحدانيته و حكمته ككتاب مفتوح يدعو إلى دراسة الطبيعة و فطرة الكون ، وقد يبدأ قال الشاعر العربي مشيراً إلى هذه الحقيقة :

(١) البقرة ١٦٤ . (٢) الذاريات ٢٠ - ٢١ .

أساليب فهم القرآن :

يأخذ القرآن لاثبات هذه المفاهيم و إساغة حقيقتها في عقل البشر ، أساليب مختلفة و يوفر لذلك دلائل قوية دامغة لا ترك أي مساغ لرفض هذه الحقائق الحالية و هو يعتمد في ذلك تارة على بيان ما قبل التاريخ و الاستدلال منه و أخرى على قصص الأنبياء السابقين و تعاليمهم و وثائقهم ، و مرأة يستدل من خلق الأكون و نظام الربوبية . و مرأة أخرى من الطبيعة الإنسانية و أحواها ، كما أنه يحرك دافع الشرك بذكر نعم الله على الإنسان و يوجه إليه الإنذار بالاشارة إلى شدة نعمته و عذابه ، و ذلك لكي يطلع النوع البشري كله على هذه المفاهيم الأساسية الثلاثة .

القرآن يدعو إلى التدبر و التفكير في نظام الكون :

و لا يألو جهداً في استخدام وسائل الترهيب و الترغيب ، و من بين هذه الوسائل أنه يدعو الإنسان إلى دراسة حقيقة الكون و نظامه الشامل المقن ، و هو يستهدف بذلك إلى أمرين :

١- كلما فكر الإنسان في مظاهر الكون و نزل إلى أغواره و درس نظامه بعقله و تجاربه تجلت عليه الحقيقة ، و هي أن هذا الكون في نظامه الدقيق الشامل خاضع للخلق و هنالك تكشف عليه وحدانيته و ربوبيته و حكمته الجبارية كنتيجة حتمية لدراساته و تفكيره .

٢- و المدف الثاني لدعوة القرآن هذه أن لا تكون العلاقة بين الإنسان و ربه مجرد اعتقاد على ، بل يتحول إلى وجداني و عاطفي يتغلغل بين أحشائه وسائر أعضائه ، وهذا المدف الثاني نتيجة للهدف الأول ، وإن هذه الغايات إنما تتحقق بمشاهدة الطبيعة و دراسة الكون ، التي تزيد في حرارة

رجب ١٣٩٥

الحججة على المنكرين :

و كذلك يستدل القرآن من نظام الكون و يكرر الخطاب إلى العقل الانساني و يطلب منه التفكير في السكون و مشاهدة مظاهره و الحصول على الادراك الصحيح و الفهم الصائب و قد يجرب عليهم أساليب مختلفة للترغيب و الترهيب ، لكي يتسمى التوصل إلى النتيجة الصحيحة ، و هو يريد بذلك إقامة الحججة على منكري الخالق و الآخرة ، يقول : « أو لم ير الذين كفروا أن السماوات و الأرض كانتا رتقا ففتقتا هما و جعلنا من الماء كل شئ حتى أفالا يؤمّنون » (١) ، و يقول : « أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات و الأرض و ما بينهما إلا بالحق و أجل مسمى ، وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون » (٢) .

إرادة الآيات في الآفاق ، و الغاية منها :

تلك هي نوعية علاقة العلم مع القرآن و أصل حقيقته ، و يجب أن لا يخفي أن القرآن لا يكتفى بدعوة التفكير هذه ، بل إنه لتوفير المزيد من الطمأنينة لقلب المؤمن يتعرض لذكر نظام الكون و إبداء بعض الحقائق ضمنه ، التي تواجهه في المرحلة القادمة ، إما لسبب من تفكيره و تفتيشه أو لأجل تقدم العلم بتعبير آخر ، و لهذا الأسلوب عدة غايات .

- ١- ليتحقق صدق هذا الكلام الالهي و حقانته .
- ٢- لكي يكون باعثاً على مزيد من الطمأنينة و رسوخ في الإيمان .
- ٣- لتقوم الحججة على المنكرين .
- ٤- لكي يشاهد العالم كله قدم العلم الالهي و إحاطته بكل صغير و كبير .

(٢) الروم ٨٠

(١) الأنبياء ٢٠

(١) يوسف ١٠٥ . (٢) الأعراف ١٨٥ . (٣) يونس ١٠١ . (٤) الأنعام ١٧٩ .

ولله في كل تحريره
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
نظرة القرآن إلى الدابة :

ولن يسع أحداً أن ينكر هذه الآيات الواضحة والدلائل الدامغة إلا من في قلبه مرض و يريد أن يخنق الحقائق ، و يتناول القرآن هؤلاء المتمردين بالاستكبار فيقول : « و كأين من آية في السماوات و الأرض يمرون عليها و هم عنها معرضون » (١) ، ويقول : « أو لم ينظروا في ملوك السماوات و الأرض و ما خلق الله من شئ و أن عسى أن يكون قد اقترب أحدهم فإذا حدث بعده يؤمّنون » (٢) و « قل انظروا ماذا في السماوات والأرض و ما تغنى الآيات و النذر عن قوم لا يؤمّنون » (٣) ، و لقد ذرانا بجهنم كثيراً من الجن و الانس لهم قلوب لا يفهون بها و لهم أعين لا يتصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل » (٤) .

لقد فضحت هذه الآيات أولئك الأقوام الذين لا يؤمّنون و يتسلّلون في أهوائهم إلى درك أسفل ، فيتشبهون بالبهائم بل أضل منها ، و ذلك لأن البهائم بالرغم من تجردتها عن العقل والشعور تتمتع بتمييز ضررها من نفعها ، و ربّحها من خسارتها ، كما تتمتع إلى حد بالشعور بالطاعة لمن يقتنيها ويريها بالعكس مما يفعله هؤلاء الجمال على ما أكرمههم الله به من أنفس القوى العقلية وأغلاها فانهم لا يتوصّلون إلى نتيجة صالحة بمشاهدة هذا الكون و التفتح بخيانته ، و ذلك ما جعلهم أضل و أخسأ من الأنعام كما يعبر عنهم القرآن بأسلوبه البليغ ، « أولئك كالأنعام بل هم أضل » .

و إلى ذلك تهدف الآية السكرية « سررهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » (١) .

بين دلائل الآفاق والأنفس و العلوم الحديثة :

و بفضل العلوم الحديثة تكذست هناك دلائل الآفاق والأنفس وتجلت حقيقة دعوى القرآن كلها، و لذلك فلا بد للعالم من الخضوع أمام عظمة القرآن و صدقه و العيش وفق تعاليمه ، و للاطلاع على دلائل الآفاق يجب أن لا تفوت الإنسان دراسة العلوم الفلكية و الطبيعية و الكيمياء مع التاريخ و الجغرافية و الآثار كما يجب أن يدرس مباحث علم الحياة (Biology) وخاصة ما يتصل بالانسان .

هل القرآن رسالة العلم ؟

فمن حاول أن يستقصي الآيات التي تشير إلى معنى من معانى العلم ويبتئن أن القرآن كتاب للعلم تغتر في تفهم دعوة القرآن وروحه — سواء عن قصد أو عن خطأ — إذ أن القرآن لا يقدم رسالة العلم إنما يتحدث عن التوحيد و الرسالة و المعاد و يتخذ العلم ذريعة لاساغة فهم رسالته الأصلية و أداة للتوصل إلى الغاية الحقيقة .

و بما أن عدد المنكرين أكثر بالنسبة إلى المؤمنين في كل عصر أكثر القرآن ذكر الآيات التي تتضمن بيان نظام الكون و مظاهره . و معلوم أن رسالة القرآن خالدة دائمة عالمية يستلقي النوع البشري كلها و يقيم الحجة على المنكرين « لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون » .

الغاية الأولى من دراسة الكون :

في سورة آل عمران آيات هي أصدق تعبير عن هذه الغاية فاقرأوها :

(١) نصلت ٥٣ .

، إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الآباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب النار ، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزiate و ما لظالمين من أنصار (١) .

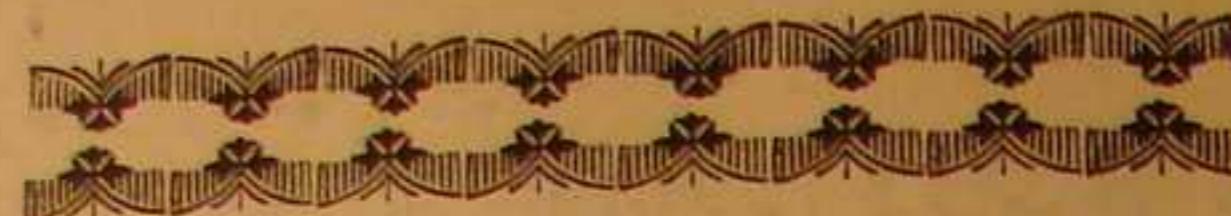
هذه الآيات تكشف النقاب عن وجه العلم ، وتبدي بها حقيقة التفكير في نظام هذا الكون ، و ما هي الغاية الأصلية من هذا التفكير ، و من ثم فإن أولى الآباب عند ما يفكرون في نظام هذا الخلق و الكون ينفتح عليهم طريق يتوصلون به إلى عظمة الخالق ، وتفجر جوانبهم خوفاً من الله وخشية منه ، و يضطرون إلى الاعتراف بغائية هذا الخلق والكون ، وتنلين قلوبهم لذكر الله و جوارحهم للعمل في سبيل الحق .

ذلك هو الإيمان الوج다نى الذى يبنى على التجربة و المشاهدة ، ويكون أرضخ من الإيمان العلمي و العقلى . و بهذا الإيمان تنبجس بناية التوحيد و القوى من كل شعرة ، فقال : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » و قد خص الله سبحانه أولى التفكير والتأمل في مظاهر الكون وأياته بخطاب العلماء .

دراسة الكون تقترن بذكر الله :

و معلوم أن التفكير في نظام الكون و مظاهر الخلق يؤدى إلى الإيمان بعظمة الخالق و الاعتراف بجلاله وكامله ، و هذا الإيمان و ذلك الاعتراف بما يبعثان القلب على تعظيم الخالق و تقديره و تسديحه ، و ذلك هو الذكر الذي له أهمية كبرى في بناء حياة المؤمن و تنزيه المجتمع من أدران الشرك و شوائب الجاهلية ، الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و علي جنوبهم ، و يتفكرون في خلق السماوات والأرض .

نصر الله في واقع الحياة



الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله

اما نصر الله في واقع الحياة فيقوم في أساسه على نصر الله تعالى في النفوس ، حيث يتم ترسیخ العقيدة الاسلامية الحالصة في النفوس ، و العمل على تصفیتها و تنقیتها من جميع الشوائب التي قد تخالطها في حالة الغفلة ، ولذا كان لابد دائمًا من اليقظة الوعية والارادة القوية المستهدفة بنور العقل المستنير ، المبصر بالعواقب . الذي لا يرتضى بأن يكون أى دافع مؤثر في سلوك الانسان إلا ما يكون نابعاً من العقيدة الاسلامية بحيث تكون هي المهيمنة على جميع الدوافع ، فتكون هي الحرك الوحد . و الوحيد فقط لخالق تصرفات المؤمن ، و تسیرها على حسب هواها ، سواء كانت التصرفات ظاهرة أم باطنة ، سرية أم علنية ، فعلية أم قوية ، فكريه لا يدركها إلا العقل أم محسوسة تدرك بالحواس الظاهرة ، بحيث تكون غاية الانسان من وراء أى تصرف من هذه التصرفات يلي رضوان الله تعالى ، و ذلك طبقاً لما ورد في الحديث الشريف ، حيث يقول عليه السلام : « والذى نفسي يده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

وبهذا فان نصر الله في واقع الحياة لا يكون إلا بنصر شريعته تعالى و منهاجه الذي أرزله على رسوله محمد عليهما السلام هدى و رحمة للعالمين . هذا المنهج

وهنا لا بد من الاشارة إلى أن عالماً بالفطرة يتوصل إلى مرحلة « الذكر » بعد تفكير طويل و جهود مستمرة ، بالعكس من رجل عادى يتعرى من صفات التفكير و التأمل و لكنه مشغول بالذكر ، فيليس بينهما فرق من حيث الاشتغال بالذكر و مواجهة حقيقة واحدة ، أما الفرق الذي يوجد بينهما فهو في اختلاف درجة كل منهما و كيفية عملهما ، لا في المقدار و الكمية ، نفس الفرق الموجود بين كمية الحرارة و درجة الحرارة .

ولذلك فان فصل العلم عن ذكر الله ، و رمي علماء الدين بالرجعيّة و التزّمت آية الجهل و قلة الذوق ، بل يرادف الفرار من مواجهة الحقائق ، و إن أمثل هؤلاء الناس يعيشون في جهل و ظلام عن معرفة الفطرة الإنسانية و نظام هذا الكون و قوانينه فضلاً عن أن يكون لديهم علم بحقيقة الدين ، وأولئك هم الذين يصدق عليهم قول الله تبارك وتعالى : « مذبذبين بين ذلك ذلك لا إلا هؤلاء و لا إلى هؤلاء .

العلم ذرعة للتوصّل إلى الدين :

معرفة الله و الاتصال بالله نتيجة حتمية لهذا التفكير و التأمل في كل زمان و مكان ، فان كان هناك عالم بالطبيعة أمضى عمره كله في الدراسة و التحقیق حتى تكدرست لديه مجموعة من دراساته و لكنه لم يوفق للتوصّل إلى النتيجة المطلوبة منها فلا شك أنه أضع عمره و جهوده ، و على العكس منه إذا كان رجل تمسك بالعمل الصالح و الإيمان فإنه أحرز النجاح المطلوب ، و إن جهل علم الطبيعة ، لأن العلم ليس مطلوباً بل إنه وسيلة للوصول إلى الغاية الأصلية ، ولأن الحصول على علم الطبيعة و التدبر في نظام الكون لا يتيسر لكل شخص ، ولا أن تفكيراً عابراً و تدبراً خاططاً يسفر عن نتيجة ، بل الحق أن ذلك يختص بمحبّذة الفن و رجال العلم و الفكر .

تدل هذه الآية دلالة واضحة أن الإنسان مقيد بالشرع الذي جاء به الرسول محمد ﷺ ، لأن الله يذب كل من يخالف هذا الشرع ، فصار الأصل اتباع الرسول محمد ﷺ و التقيد بأحكام رسالته .

وإن عموم آيات الأحكام الموضحة لما يجب أن تكون عليه أفعال الإنسان تدل دلالة واضحة على وجوب الرجوع إلى الشرع الإسلامي ووجوب التقيد به . يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطعوا الله وأطعوا الرسول و أولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تومنون بالله و اليوم الآخر ذلك خير و أحسن تأويلا » (سورة النساء ٥٩) فالرد إلى الله سبحانه و تعالى يكون بالرجوع إلى أحكامه كما وردت في القرآن الكريم و الرد إلى الرسول ﷺ يكون بالرجوع إلى سنته ، فاحكم به القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة و شهدا له بالصحة فهو الحق ، و لا يوجد غير الحق و عكسه إلا الضلال . ولهذا قال تعالى : « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله » .

ولهذا بين سبحانه و تعالى أن علامة الإيمان هي الرجوع إلى كتاب الله و سنة رسوله ، و لهذا قال : « إن كنتم تومنون بالله و اليوم الآخر ، فهذا يعني ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله و سنة رسوله ، فتحاكوا إليها فيما شجر بينكم » إن كنتم تومنون بالله و اليوم الآخر ، فدل ذلك دلالة صريحة على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب و السنة ، و لا يرجع إليها في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر ، و قوله تعالى : « ذلك خير ، أى التحاكم إلى كتاب و سنة رسوله ، و الرجوع إليها في فصل النزاع خير » و أحسن تأويلا ، أى وأحسن عاقبة و مآلًا .

الذى ارتضاه تعالى لعباده المؤمنين ، و أمرهم أن يتبعدوه بموجبه و نهاهم عن أن يتبعدوه بموجب أى منهاج غيره ، حيث إنه تعالى قال : « إن الدين عند الله الإسلام ، و ما اختلف الدين أتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم - بغياناً بينهم - و من يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب » (سورة آل عمران ١٩) فهي عقيدة واحدة ، و حقيقة واحدة ، يدين الله بها عباده ، منذ أن بعث فيهم رسلاً .

و قال تعالى : « و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين » (سورة آل عمران ٨٥) .

ولا يتم نصر شريعة الله إلا بتحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء ب بحيث يكون المقاييس الذي تقاس به التصرفات هو الحلال والحرام بحسب أوامر الله و نواهيه و ذلك تماشياً مع كل ما جاء به الرسول ﷺ من تعاليم عن ربه تعالى . و هذا يفرض على كل مسلم أن ينظر في كل عمل يأتيه ، أن يعرف قبل القيام به حكم الله فيه ، لأن الله سبحانه و تعالى سائل كل إنسان عن كل عمل يقوم به و محاسبه عليه . قال تعالى :

« فوربك لنسألكم أجمعين عما كانوا يعملون » (سورة الحجر ٩٢) و قال تعالى : « وما تكون في شأن وما تلو منه من قرآن ، ولا تعملون من إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفتقرون فيه » (سورة يونس ٦١) .

و معنى إخباره تعالى لعباده أنه شاهد على أعمالهم هو أنه محاسبهم عليها ، وسائلهم عنها ، فإن كانت مقيدة بما جاء به الرسول محمد ﷺ أثابهم الله تعالى عليها ، و إن كانت مخالفة لذلك استحقوا عقاب الله تعالى و عذابه لقوله تعالى :

« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً »

بشر آخر . فان عرفه فهو معاند للشرع ، وإن جهله فهو عاص بجهله إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم ، يقول الله تعالى : « فاسأوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »

و يقول الرسول ﷺ في حديث التيمم : « ألا سأوا إذا لم يعلموا فاما شفاء العي السؤال ، ويقول الرسول ﷺ : لا يعذر الجاهل على الجهل ، ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ، ولا للعالم أن يسكت على عليه »

ولهذا وجب البحث عن الحكم في الشرع الإسلامي ، إذ الأصل البحث عن الدليل الشرعي للحكم من الشرع ، إذ الأصل في أفعال العباد هو أن لها حكماً شرعاً وجب طلبه من الأدلة الشرعية قبل القيام بالفعل ، ويتوقف الحكم على الفعل بكونه مباحاً أو فرضاً أو مندوباً أو حراماً أو مكروراً ، على معرفة الدليل السمعي على هذا الحكم من الكتاب والسنة أو الاجماع أو القياس .

و ما يتطلبه نصر شريعة الله تعالى في واقع الحياة هو الواقع وعيًا تاماً أن الشريعة الإسلامية قد أحاطت بجميع أفعال الإنسان إحاطة شاملة ، بحيث إنه لم يقع شيء في الماضي ، ولا يعرضه شيء في الحاضر ، ولا يحدث له شيء في المستقبل إلا و لكل شيء من ذلك حكم في الشريعة .

قال الله تعالى : « و نزلنا عليك الكتاب تدياناً لكل شيء »

و قال تعالى : « اليوم أكلت لكم دينكم و أثمنت عليكم نعمتي ، فلا يمكن شرعاً أن يوجد فعل للعبد ليس له دليل أو أماره تدل على حكمه لعموم قوله تعالى : « تدياناً لكل شيء » و للنص الصريح بأن الله قد أكل هذا الدين .

ويقول الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسدوا تسليماً » (سورة النساء ٦٥) يقسم الله تعالى بنفسه أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم ما جاء به الرسول محمد ﷺ في جميع الأمور فما حكم به الإسلام فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا و ظاهرًا بكل رضى و قبول و اطمئنان . و لهذا قال : « ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسدوا تسليماً ، أى يجب على المسلمين أن يحكموا ما جاء به الرسول ﷺ وهو الحق و أن يطعوه في بواطفهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً بما يحكم به الإسلام ، و ينقادون له في الظاهر و الباطن فيسلون لذلك تسليماً كاملاً من غير عماقة ولا مدافعة و لا منازعة ، بحيث يتم افتتان الوجدان ، و اطمئنان الضمير ، و تسلیم الرضى بذلك التحكيم كا ورد في الحديث : « و الذي نفسى يده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه بما لاجئت به »

الأصل في الأفعال اتباع الشرع و التقيد به :

تدل هذه الآيات دلالة قاطعة على أن الأصل هو اتباع الشرع الإسلامي و التقيد به ، و لذا وجب على كل مسلم أن يتعرف على الحكم الخاص بكل فعل يريد القيام به قبل أن يأتيه ، والحكم الخاص بالشيء أو الأشياء سيتصدر فيها بهذا الفعل قبل تصرفه فيها ، و الثابت في القرآن و الحديث عند عدم العلم بالحكم وجوب السرفال عن الحكم ، و ليس التوقف و عدم الحكم ، وهذا لا يجوز شرعاً مطلقاً و فيه معصية كبرى لله تعالى ، وقد قيل : ما عصى الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل ، وإن ما من شيء أشد من الجهل إلا الجهل ، وحتى إن من يقصد الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع فإنه يقوم

عليه السلام : « بلي إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم بذلك عبادتهم إيمانهم »

و يعقب ابن تيمية في كتابه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) على هذا الحديث بقوله : « فاتباع من يحرم الحلال ويحل الحرام يفضي إلى طاعة الخلق في معصية الخالق ، و يفضي إلى قبح العاقبة و سوء التأويل المفهوم من خوى قوله تعالى :

« أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » (سورة النساء ٥٩).

و هكذا لا بد للؤمن بالله و رسوله و اليوم الآخر من أن يؤمن بالكتاب كله ، وأن يتبع ما أنزل من الله تعالى على رسوله جميعه ، و يحرم على المؤمن أن يؤمن ببعض الكتاب و أن يكفر ببعض كما يحرم عليه أن يلين قلبه لاتباع بعض السنة و ينفر عن قبول بعضها بحسب العادات و الأهواء ، فإن هذا خروج عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم والضالين . و هكذا حتى يتسمى للسلمين أن يضمنوا نصر الله لهم فتعود إليهم فوتهم وعزهم وسيادتهم في الأرض عليهم بذل كل ما وسعهم من جهود و طاقات على نصرة الله تعالى في ذات النفوس بترسيخ الإيمان بالله تعالى بحيث تكون العقيدة الإسلامية هي المحرك الوحيد لختلف النشاطات التي تصدر عن المسلم وكذلك عليهم العمل على نصر شريعة في واقع الحياة بتحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء ، وهذا كله فإنه يحرم عليهم الأخذ بأى حكم غير مستمد من أحكام الله تعالى التي نزلت على محمد عليه السلام التي تقضي أن من يشرع شرعاً غير مستمد

ولا يحل لسلم بعد التفقه في هاتين الآيتين القطعتين أن يقول بوجود واقعة واحدة من أفعال الإنسان لم يبين الشرع لها محل حكم و لا بوجه من الوجوه .

و قد جاتت الشريعة بمعانٍ عامة لمشكلات الإنسان من حيث هو إنسان بغض النظر عن الزمان و المكان ، فتدرج تحت هذه المعانٍ جميع الأفعال الجريئة . فإذا حدثت مشكلة أو جدت حادثة فانها تدرس و يفهم واقعها ثم يستبطط حلها من المعانٍ العامة التي جاتت بها الشريعة ، فيكون ما استنبط من رأى هو حكم الله في هذه المشكلة . أو تلك الحادثة ، وقد سار المسلمين على ذلك منذ وفاة الرسول عليه السلام ، ولا يزال المسلمون المتمسكون بالاسلام يسيرون على ذلك . فقد حدثت مشكلات في أيام أبي بكر لم تكن في زمن الرسول عليه السلام ، و حدثت مشكلات في أيام هارون الرشيد مثلاً لم تكن في أيام أبي بكر ، فاستبطط لها المجهدون الذين كانوا يعدون بالآلاف وأحكاماً شرعية لم تكن معروفة من قبل ، و هكذا ساروا في كل مشكلة وكل حادثة ، لأن الشريعة الإسلامية جامدة ، فما من مشكلة إلا و لها محل حكم ، وما من مسألة إلا و لها حكم . و عليه يجب على كل مسلم أن يتقيد بأفعاله بالأحكام الشرعية وأن لا يقوم بعمل إلا بحسب أوامر الله و نواهيه .

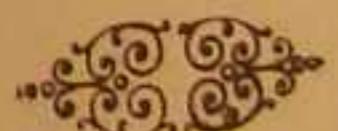
روى الإمام أحمد و الترمذى و ابن جرير من طرق عن عدى بن حاتم رضى الله عنه أنه دخل على رسول الله عليه السلام وهو يتلو قوله تعالى : « اتخذوا أحجارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله ، فقال (أى عدى بن حاتم ، و كان قد سبق له أن اعتنق النصرانية قبل أن يسلم) : « إنهم لم يعبدوهم » . فقال [٦٠]

من أحكام الله تعالى فكأنه يشارك الله في ألوحته ، وأن من يأخذ بهذا التشريع الذي لا تربطه بنصوص الشريعة الإسلامية أية صلة فكأنه اتخذ من واسع التشريع الغريب عن الشريعة الإسلامية رباً من دون الله تعالى .

وقد توعد الله سبحانه و تعالى و تهدد كل من يفضل الدنيا و يختارها على الآخرة ، و يؤمّن ببعض الكتاب و يكفر ببعضه فيعمل ببعض أحكام الشريعة دون بعضها بحسب هواه فسيكون مصيره الحزى و الذل من الله تعالى في الحياة الدنيا و يوم القيمة يرده إلى أشد العذاب ، و لا يجد له نصيراً ينصره لا في الدنيا و لا في الآخرة عندما يحل به الحزى و الذل و العذاب الشديد من الله تعالى و ذلك بسبب خالفته لشرع الله تعالى يقول تعالى :

أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفِرُونَ بِبَعْضٍ ؟ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خَزَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْدَوْنَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرْوَاهُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ ، فَلَا يَخْفَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يَنْصُرُونَ ،

(سورة البقرة . الآيات ٨٥ - ٨٦)



دراسات وأبحاث

برهان

- ★ عاصفة يواجهها العالم الإسلامي و العربي
- ★ المستشفيات التي أقامها المسلمون
- دليل على تقديم الطب العلاج

و إذا أصب به في حين من الأحيان فان قوة المدافعة التي أودعها الله في الجسم السليم تتغلب عليه ، و تفيفه ، و لا يسلط زعيم فاسد على شعب إلا إذا كان فيه استعداد لقبوله ، و كان فيه خنوع واستسلام .
محاربة قادة هذه الثورة للإسلام ،
نتيجة حتمية لثقافتهم و تربيتهم :

أما تنكر هؤلاء القادة للإسلام ، و قلبهم له ظهر المجن ، و انتصافهم لاقصانه من الحياة و المجتمع ، و تجويده من كل سلطة و نفوذ ، فإن الإنسان مهما تأسف عليه ليس له أن يتعجب عليه ، فإن هذا الاتجاه و العداء للإسلام نتيجة طبيعية للنظام التعليمي ، الذي تربوا عليه ، و رضعوا بلائه ، و الشجرة لا تلام على ثمرتها الطبيعية ، و لا يستغرب منها ، إنهم كما تعلون من تاريخ حياتهم و شأتم ، نشأوا في أحضان الأئذنة الغربيين و العلماء المستشرقين ، و تخرجوا في الكليات و الجامعات الغربية ، المدنية و العسكرية ، وما كان على شاكلتها من المعاهد و المراكز التعليمية في الشرق ، و قد كان المشرفون عليها و المعلمون فيها ، جادين حريصين على صرف هؤلاء الشباب ، الذين يتموت إلى بيوتات كريمة ، و بعضهم أبناء ملوك المسلمين ، و رؤساء الحكومات ، عن دينهم و عقيدتهم ، و إفسادهم خلقاً و عملاً ، وإن شأتم على تفسخ و استهثار ، بطرق بارعة ، وأساليب حكيمة ، وقد كان ذلك في بعض الأحيان بتوجيهه من الحكومات الغربية ، و إيعاز منها ، لبسط نفوذها على هذه البلاد ، و تأمين مصالحها فيها ، و قد أساغوا وهضموا الأفكار و النظريات التي لقنتها أستاذتهم و مربوهم الغربيون ، فأصبحت عندهم كالسلمات والبديميات ، والمقررات العلمية ، التي لا تقبل الجدل والنقاش .

عاشرة يواجهها العالم الإسلامي و العربي

الأستاذ أبو الحسن على الحسني التدوين

[الحلقة الثانية]

كيف استطاع القادة أن يقودوا حركة
الردة و الثورة على الإسلام :

وأريد أن أقول لكم إن الثورة على الدين والامتناع عنه والزهد فيه ، ينحصر في نطاق القادة الموجهين ، والزعماء الذين ملكوا زمام هذه الأقطار ، وشعوب برية من هذه الردة ، و الجاهير تكره هذه الاتجاهات كراهة شديدة ، و هي ساخطة عليها متذمرة منها ، ولكنها مغلوبة على أمرها ، تسايق كالغنم ، و تدفع إليه دفعاً ، و لكن أقول بصرامة : إن هذه الشعوب لا تخلي عن تبعية هذه الاتجاهات المعادية للإسلام و عن مسؤوليتها ، فقد أصبحت بضعف الجبنة الدينية و الشعور الديني ، و احتمال كل تحمل للإسلام ، و الإسلام للأمر الواقع و الأخلاق إلى السكون و الدعة ، و إشار المهدو ، و السلمة على المفارة و الخاطرة بالنفس والملذات و الفوائد الشخصية ، من زمن طويل لأسباب كثيرة ليس هذا محل شرحها و الإفاضة فيها ، ولو لا هذا ، لما تسكن هؤلاء القادة المتوجهون للإسلام ، المحاربون لتعاليمه و مبادئه ، من الوصول إلى كراسي الحكم ، و مقابلة الأمور ، ولما تبوفوا الزعامة أو بخدعة وتلبيس ، لما استطاعوا البقاء في هذا المركز مدة طويلة ، فإن الصحة أصل ، و المرض طارىء ، و الجسم السليم القوى يحمي نفسه من المرض ،

و جهم لها شأن بني إسرائيل الذين حكى الله تعالى عنهم في القرآن ، فقال : « وأشربوا في قلوبهم العجل » وبعضهم ، أو أكثرهم مسير لا يخرب ، و مقود لا قائد ، و آلات صماء في يد الموجهين في الخارج .

فليساندحت هؤلاء القادة فرصة لتنفيذ هذه المبادئ والعمل بها ، انتزروا هذه الفرصة ، وهذا لك عرف مدى رسوخهم في قبول هذه النظريات ، وقلق أهل الغيرة من المسلمين ، مع أنه كان ذلك هو المتوقع المفروض من هؤلاء القادة والزعماء ، وكانت تبشر منهم بوادر تدل على ذلك ، ولكنهم لم يكونوا يملكون من الأمر شيئاً ، فلما وصلوا إلى مركز الحكم و القيادة لم يضيعوا فرصة لتطبيق نظرياتهم ، و رأوا في ذلك ضماناً لبقاءهم في الحكم ، و تخلصاً من نفوذ « المتطرفين الرجعيين » الذين لا يزالون يشكلون الخطر الأكبر لقيادتهم و رئاستهم . و صاروا ينشئون الأجيال على هذا الדרך ، حتى يصفو الجو ، و ترسخ قواعد حكمهم ، و يزول كل خطر ، و ما دام هذا النظام يعمل و يشتعل ، و هذه الشجرة تؤتي أكلها فلا تنتج منها إلا مثل هذه القيادات ، ولا يولد إلا أمثال هؤلاء الزعماء ، هذا هو منطق الأشياء و طبيعة الأمور .

لماذا تعرضت الأقطار العربية لهذه المخيبة القاسية :

أما لماذا أصبحت هذه الأقطار العربية الإسلامية التي أشرنا إليها مسرحاً لهذه الثورة على الإسلام ، و مركاً ذولاً ، هؤلاء الزعماء و القادة المتكبرين للإسلام ، المحاربين له بكل ما أوتوه من قوة و صلاحية ، و حول و طول ، وكانت فريسة سائغة سهلة لهذه المؤامرات و المخططات ، فله عندى سيبان ، أحدهما داخلي ، و الثاني خارجي .

و من هذه النظريات أن الإسلام قوة قد استلمكت و نفت ، و فقدت كل صلاحية للبقاء فضلاً عن القيادة ، و إنها كبرى كاذبة قد أطلقت رصاصتها الأخيرة ، وأصبحت فارغة لا شحنة فيها ، و إذا كان لا بد منه ، و لا حيلة للتخلص منه ، فإنه قضية شخصية ، هي بين العبد و ربها لا يسمح له بالتدخل في صياغة الحياة ، و تشكيل المجتمع ، و كذلك المساواة بين الرجل و المرأة مساواة كلية ، و التمسك بالتشريع الإسلامي و بأحكام المواريث و الأحوال الشخصية - وإن كانت منصوصة في القرآن - رمز للرجعية ، إلى غير ذلك من النظريات والافتراضات ، التي أخذها هؤلاء القادة ، إما مباشرة من أساتذتهم ، و إما تقليداً و إعجاباً بعلمائهم ، فآمنوا بها إيماناً أهل الدين المخلصين بالأصول الدينية ، و النصوص القطعية .

و قد تغلغل تقديس الحضارة الغربية بقيمها و مفاهيمها ، و تصوراتها و مظاهرها . التي لا تقدم و لا تؤخر في مضمار القوة و الحياة السكرمية ، في أحشائهم ، و امتهن بلحومهم و دمائهم ، حتى أصبح من المستحبيل تجريدهم عنه ، و آمنوا بأن هذه الحضارة الغربية و الفلسفة المادية ، قد بلغتا القمة من العقل و رقى البشر ، و حال تعصبهم لهذه الحضارة و الفلسفة الغربية عن أن يطلعوا على مواضع الضعف و الامتحاق فيها ، كما اطلع عليه كثير من رجال الغرب .

و آمن بعضهم بالفلسفة الشيوعية ، و المبادئ الاشتراكية إيماناً راسخاً تقليدياً ، كإيمان الراسخين المتحمسين من المؤمنين بالأديان ، لا يحملون تقليداً ، ولا تمحضاً ، ولا يفكرون في إبداع أو ابتكار ، أو تكيف لها بلادهم ، وإنما يقلدونها تقليداً أعمى ، و كان شأنهم في قبول هذه الفلسفات كلاماً ، [٦٦]

و الفلسفات الأجنبية ، و المبادئ الدخيلة ، كأنها نعمة من نعم الله ، و كأنها أرق ما أكرمهم الله به ، و كان مثلهم كمثل طائفة من بني إسرائيل رافقت موسى ، و مرت بعياد أصنام ، فتحلبت أفواهها لهذا المنظر ، و سال لعابها على هذه الوثنية التي أتقذهم الله منها ، فقالت : « يا موسى اجعل لنا إلهًا كالم» آلة ، و قد قص الله هذه القصة في القرآن في أسلوب تتمثل فيه استهانة بني إسرائيل بنعمة التوحيد ، و افتتانهم السريع بالوثنية ، التي كان يجب أن تشمنز نفوسهم منها ، و تقرزها ، و ظهر فيه استنكار نبي الله موسى ، و حنقه الشديد في أروع شكل ، فقال : « . . . و جاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كالم آلة » ، قال إنكم قوم تجهلون « إن هؤلاء متبر ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون » . قال أغير الله أبغىكم إلهًا وهو فضلكم على العالمين » ، (١) .

وما كان مثلهم إلا كمثل ابن ملك نشأ في القصر ، وشبل في نعمة أبيه ، ثم عاف الأطعمة الملكية ، والسفرة السلطانية ، ورغب في فتات المائدة ، ومردول الطعام ، وأحب الجلوس مع الكناسين ، فتوجه إليه النقد واللام ، وأشار إليه بالبنان ، و تقرزه ندماء الملك و خاصته و اتهموه بخفة العقل و فساد الذوق .

و هذا سر وقوع هذه الأقطار لقمة سائفة ، و فريسة سهلة لهذه الانبعاثات الزائفة ، و الثورات على الدين ، و موجات الردة العنيفة ، و التحديات الصارخة للإسلام ، و لا سبيل إلى التخلص منها إلا العودة إلى الدين ، والاعتزاز به ، و الشكر على نعمة الله .

(١) سورة الأعراف : ١٢٨ - ١٢٩ - ١٤٠ .

أما السبب الداخلي الباطني ، فهو ماذكرت في مفتاح الحديث : إن الله سبحانه و تعالى يعاقب على الكفرات بالنعمة ما لا يعاقب على الكفر ، وعلى الكاذب ما لا يعاقب على الجحود ، واستحضروا الآيات التي استشهدت بها ، وقد أكرم الله هذه الشعوب و الأقطار العربية باختيارها حاملة لرسالة الإسلام ، و اصطفاها لها ، و أنزل كتابه في لغتها ، و بعث رسوله ، آخر وأشرفهم فيها ، و من عليها بذلك ، فقال : « و إنه لذكر لك ولقومك و سوف تسألون » ، (١) و كتب لها الإمامة و القيادة ، للأمم التي تؤمن بهذا الدين ، و تدخل في حظيرة الإسلام ، و حب لغتها و علومها ، و أدابها و حضارتها و عاداتها إلى هذه الأمم ، فقلدتها فيها ، و اقتبسها منها ، و تفاخرت بالسبق فيها ، و التمسك بها ، فانتشرت هذه اللغة في العالم في أقل مدة عرفها التاريخ للغة من اللغات ، و أصبحت لغة الدين و اللغة العلم ، و لغة النايف و التعليم ، و العبادة و السياسة ، و آثرها كثير من أبناء العجم و نواديهم و عباقرهم ، على لغتهم ، و أدابهم ، و حضارتها على حضارتهم ، وكان ما كان مما تحدث عنه التاريخ ، وتغنى به الشعراء والأدباء ، ولا زالت آثاره باقية ماثلة للعيون مما لا يوجد له نظير في تاريخ أمم من الأمم ، و لا في تاريخ دين من الأديان .

ولكن كثيراً من أبناء الأقطار العربية أنكروا أو تجاهلوا فضل الإسلام في هضتهم ، و استهانوا بقيمتها ، و تطلعوا واستشرفو إلى القومية ،

(١) سورة الزخرف : ٤٤ ، أي شرف لك و لقومك ، قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنها و مجاهد و قتادة و السدي و ابن زيد ، و اختاره ابن جرير ولم يحك سواء ، ابن كثير الجزء السادس ص ٧٨ .

و الماسونية ، و ما ينبع عنها من تنظيمات و ندوات و مجامع ، نشاطها و ذكاؤها على التسلب إلى مراكز القيادة و التوجيه في هذه المنطقة ، و السيطرة على قادتها و زعمائها ، و استخدامهم لصالحها من حيث يشعرون و من حيث لا يشعرون ، فما عرف لهذه المؤسسات اليهودية والمسيحية السرية نشاط في الشرق الأقصى و في شبه القارة الهندية - على سمعتها وأهميتها - من زمن طويل مثل ما عرف في هذه المنطقة التي تحمل المكانة الأولى في خططاتها السياسية و الدينية و التوسعية .

ال الحاجة إلى صوغ نظام التربية صوغًا جديداً ،
و نقل مركز التوجيه من الغرب إلى الشرق :

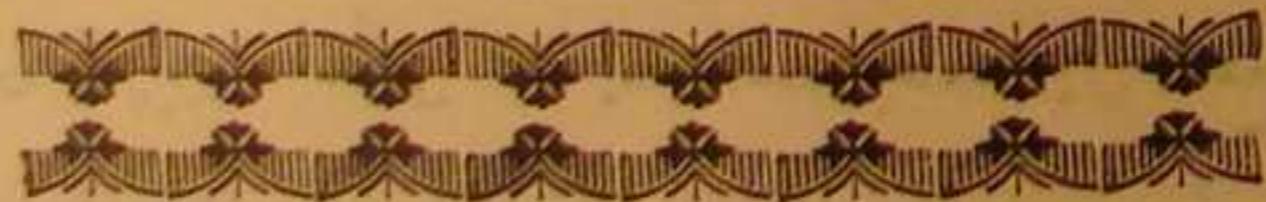
و لا سبيل إلى وقف هذا المد من الردة الفكرية و العقائدية التي بدأت - بحكم الوسائل الكثيرة المتنوعة التي تملكتها الحكومات في هذا العصر لانشاء الأجيال و تكوين جديد لعقليتها ، والتأثير في ميول الجمهور و أذواقهم - تخرج من نطاقها المحدود ، و تصوغ المجتمع صوغًا جديداً إلا أمران لا ثالث لهما ، الأول صوغ نظام التعليم الذي يربى قادة البلاد و الموجهين للمجتمع صوغًا جديداً شاملًا للأواد الدراسية كلها ، وإقصاء جميع العناصر التي تفقد النقاء بصلاحية الإسلام ، و خلود رسالته ، و تحدث البلبلة الفكرية و الاضطراب العقائدي ، و التناقض في الحياة والنفاق في الأخلاق ، و نقل مركز عملية التكوين الفكري والثقافي العالمي ، من الغرب المحارب للإسلام المتحرر من ربة دين ، التأثر على القيم الحقيقة ، إلى الشرق الإسلامي ، و من أساتذة و مربين مشككين مشككين ، إلى أساتذة و مربين مؤمنين متدينين ، وما لم يتم صوغ هذا النظام - لا التلقيح و النافق - صوغًا جديداً ، و نقل مركز التكوين و التربية ، فسيظل نشوء هذا الطراز من القادة و الزعماء و مجدهم السفينة باقية مستمرة ،

تركز القيادات الأجنبية عنايتها على إضعاف هذا المركز الروحي والقيادي للعالم الإسلامي وأسبابه :

أما السبب الخارجي فهو أن الأجانب و القيادات الغربية الداهية المحاربة للإسلام ، قد ركزت كل جهدها و ذكائها على إضعاف هذه الأقطار ، التي كانت مصدرًا للأشعاع الإسلامي . و مركزًا لقوة الإسلام ، و كانت بمنزلة القلب للعالم الإسلامي كله ، وعرفت أنها إذا خضعت لهذه الدعايات والتعليمات ، و انتشرت فيها الفوضى الفكرية ، و الاضطراب العقائدي ، و الفساد الخلقي ، و نخلت عن مركزها القيادي للعالم الإسلامي ، و قطعت صالتها عن العالم الإسلامي . فإنهم قد نجحوا أكبر نجاح ، و فتحوا أكبر حصن من حصون الإسلام ، و استطاعوا أن يسيطرؤ على العالم الإسلامي كله ، و انتقموا من أولئك الدعاة ، و الغزاة ، و الفاتحين الذين أدخلوا بعد البلاد في الإسلام ، و سلبو الدولة البيزنطية المسيحية أفضل ممتلكاتها ، و هزموا المسيحية في ميدان القتال ، و العلم و الحصارة .

وما زاد هذا الجزء من العالم الإسلامي أهمية في نظر القيادات الغربية ، و جعلها تركز عنايتها على إضعافه موقعه الجغرافي والعسكري (الاستراتيجي) الذي لا يصرف عنه النظر في خارطة العالم السياسية ، وفي حرب لا يستبعد وقوعها في المستقبل ، ووجود أكبر مقدار من الذهب الأسود (البترول) الذي يعتبر الوريد في عملية الحرب والصناعة في وقت واحد ، و إضافة إلى كل ذلك ارتباط قضية فلسطين ، ومصير دولة إسرائيل بهذه الشعوب الإسلامية سياسياً و دينياً ، و عاطفياً ، و عقائدياً ، لذلك كله ركزت اليهودية العالمية ،

الإسلامي بصفة عامة ، و قيادات العالم العربي بصفة خاصة ، وهذا الواقع الرهيب الذي أشرت إليه ربما يفت في أعضادكم ، و يبطئكم في مقاومة هذا الخطر المدمر ، و أخاف أن يتسرّب اليأس إلى نفوسكم ، و لكنني أقول لكم - و كان تاريخ الاصلاح و التجديد الديني موضوع دراستي و تأليف بصفة خاصة - و لا أخلو الحكومات الإسلامية ، إن كانت هناك حكومات إسلامية بالمعنى الصحيح ، و لا المنظمات الإسلامية ، عن تبعتها و مسؤوليتها ، و إنما لا شك أقدر على مقاومة هذا التيار العنيف ، و على معالجتها بالطرق التي أشرت إليها ، ولكنني أقول لكم في ضوء دراستي ، إن تاريخ الاصلاح و التجديد في الحقيقة تاريخ العزائم الفردية القوية في غالب الأحيان ، إنكم لا تقرؤون في تاريخ الاصلاح الإسلامي ، أنه كانت هناك جماعات تقرر محاربة هذه الودة ، و مواجهة هذا التحدى ، و لم تكن هناك جماعات سرية تضع خططات دقيقة .



وسيظل هذا الخطر جائماً على صدر البلاد و الشعوب الإسلامية ، لا تزيله تمنيات المخلصين ، و محاولات الصالحين المستضعفين (١) .
 نوعية الشعوب الإسلامية و الجماهير نوعية لا قبل تضليلها و لا تحتمل كيداً للإسلام :

والأمر الثاني هو نوعية هذه الشعوب الإسلامية نوعية إسلامية عميقه شاملة ، و إثارة الغيرة الإسلامية فيها ، نوعية تمنعها من أن تكون لقمة سائغة هؤلاء القادة الشاذين على الدين ، تمنعها من إساغة ما يلقونها أو يلقوها من أفكار مستوردة ، و نظريات دخيلة ، و اتجاهات معارضة للإسلام .
 و تمنعها من السكوت على هذه الخططات اللادينية ، و التشريعات المتناقضة مع الإسلام ، و التغيرات التي يحدوها هؤلاء القادة بين حين و آخر ، فلا تحرك ساكناً ولا حدث اضطراباً ، ولا ضمان لبقاء هذه الشعوب على المنهج الإسلامي ، بل على عقيدتها و إيمانها رغم وجود المساجد و المدارس ، و مظاهر النشاط الديني ، و الحماس الإسلامي ، إلا إذا كانت واعية للإسلام ، مت凡ية في جبه ، مشمسة كل الاشتياز من الكفر و الامحاد ، و الافكار الجاهلية ، بأوسع معانيها ، مؤثرة لدينها على دينها ، ولرضا الله على رضا أصحاب القوة والسلطان ، لا قبل التخل عن شعيرة من شعائر دينها ، فضلاً عن عقيدة من عقائدها .
 تأثير العزم الصادق ، و الجهد المتواصل في قلب الأوضاع و درء الأخطار :

أيها الأخوة الكرام ! إنني أخاف أن هذا التصوير القاتم لقيادات العالم

(١) يرجى للتفصيل إلى كتابنا ، نحو التربية الإسلامية الحرة في البلاد الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار الفعلم دمشق .

طلع على الرفاهية والعيش الرغيد الذي أتمتع به في المستشفى فبادر إلى بالقدوم إن غرقي بحسب ردهة الأطفال المرضى وبجوار غرفة الجراحة .

إني أول ما دخلت المستشفى لمعاجلة المرض الذى حصل لي بالوقوع على الأرض جئي بي إلى قسم الفحص الطبى ، حيث يفحص صغار الأطباء والطلاب المريض ، فان كان المرض لا يهم ولا يحوج المريض إلى النزول في المستشفى يوصى له الدواء و يعطى ورقة مكتوبًا عليهما الدواء و العلاج الذى يؤفره عيادة المستشفى للمرضى مجاناً ، وهذه العيادة ملاصقة بالمستشفى ، إلا أننى عرضت أول ما جئت إلى رئيس الأطباء ، ففحصنى و سجل اسمى في دفتر المستشفى ، ثم أمرنى بالاغتسال و كسانى خدم المستشفى ملابس نظيفة .

و أنت - يا والدى الـكـرـم - إذا تلطفت على بالـقـدـوم إلى المستشفى
تدخل بحـيث تـرك المـكـتبـة على يـسارـك و تـقـدم و عـمـارـة الكلـيـة الطـيـة في مـؤـخرـك ،
أما روـاق الخـدم الـذـى هو في شـمـال الصـحن فيـذهب إلى رـدهـة النـسـاء ، و من
هـنـاك فـأـنـت تـنـعـطـف إلى الـيمـين و تـقـدم إلى الـأـمـام تـارـكا جـمـيع الـأـقـاسـام الـجـراـحة
و الـطـيـة و رـاءـك ، فـانـ صـادـفـت سـمعـك نـغـمة الـموـسـيقـى تـرـتفـع من غـرـفة فـلاـبـأس أـنـ
تـطلـ فيها فـرـيـما أـكـونـ هـنـاك ، إـذـ أـنـ في المستـشـفـى قـاعـة تـخـصـ بالـمـرـضـى الـذـينـ
همـ عـلـى وـشـكـ أـنـ يـغـادـرـوهـ ، وـ تـنظـمـ فيها الـموـسـيقـى وـ بـمـحـوـعـةـ منـ الـكـتبـ

و عند ما زارني اليوم رئيس الأطباء مع مساعديه في جولته الصباحية
و خصني أشار إلى طبيب غرفتي وأملأ عليه تعليمات لم أفهمها ، ولكن طببي
الخاص أخبرني فيما بعد أنه سيسمح لي بالقيام من غد و بمعادرة المستشفى بعد
عدة أيام ، إلا أنه لا أحد أن أغادر المستشفى ! إذ أن الجو هنا نقي للغاية

المستشفيات التي أقامها المسلمون

دليل على تقدم الطب و العلاج

[هذا المقال فصل ملخص من كتاب ألف باللغة الألمانية باسم « شمس الاله على الأقطار الغربية ، تراثنا العربي » ، مؤلفته السيدة « هنكي سيكريد » (Hunke Sierid) و قد صدر في عام ١٩٦٠ من ألمانيا الغربية ، و ترجم فصل من هذا الكتاب إلى اللغة الانكليزية و نقله من الانكليزية إلى الأردية و صاغه بنسق جديد الأستاذ حبيب أحمد الصديق ، و نشر في مجلة « فاران » ، الشهرية الصادرة من كراتشي (باكستان) .]

و بما أن هذا المقال محاولة ناجحة لاثارة بعض ملامح الحضارة
الاسلامية ، واعتراف بجهود المسلمين العرب واكتشافاتهم في ترقية فن
الطب و العلاج و دليل على مقومات حضارتهم الاسلامية وكفاءاتهم فيها
تقله إلى اللغة العربية و تتحفه إلى المكتبة العربية الاسلامية العاملة
العريقة ، عسى أن يكون زيادة على ما جاء في هذا الموضوع [

تصور الكاتبة مريضاً نازلاً في أحد المستشفيات ، و هو تصوير في غاية من الدقة و الصدق ، إن هذا المريض وجه كتاباً إلى والده جاء فيه :

رائد العزيز ! سألتني عما إذا كنت بحاجة إلى مبلغ يسد مصاريف
حيث تبعثه لي ، فأحيطك علماً بأنني عند ما أغادر المستشفى بعد ما يتم العلاج
يقدم لي حلة من ملابس فاخرة وخمس مائة دينار من ذهب ، و ذلك لكي لا
أجأ إلى الاشتغال بوظيفتي فور عودتي من المستشفى ، ولذلك فأنت لا تحتاج
الآن إلى بيع بعض ممتلكاتك لترسل إلى قيمتها ، أما إذا كنت ترغب في أن

رجب ١٣٩٥

و ظل على حالة جيدة، لبناء المستشفى ، وكذلك حينا حول السلطان صلاح الدين أحد القصور في القاهرة إلى مستشفى لاحظ فيه بصفة خاصة أن لا تهتمى النفل إلى مستودعات ذلك المستشفى .

٢٣٩٣

و كلما كان الخلفاء والملوك يقيمون المؤسسات الخيرية يزورونها بأدوات

٢٣٩٤
كانت تستعمل في تزيين قصورهم ، كانت تزين فرش المرضى وغرفهم وحماماتهم بنفس أدوات الزينة التي كانت تزدان بها قاعات كبار أعضاء المملكة و غرفهم الخاصة بهم ، و هكذا كان يستطيع كل فرد عادى من أفراد الرعية أن يتمتع بهذه الراحات واللذات .

و كم كان أطباء دمشق يرتحون و يفرحون عندما كانوا يبحرون قصة ابن لأحد الأئمـاء الإـيرـانيـين الذي كان مولعا بكل شهيـيـ من الطـعـامـ و كان لا يـتـعبـ منـ الأـكـلـ ، ذات مرـة ذـهـبـ لـزـيـارـةـ المـسـتـشـفـيـ النـورـيـ فيـ دـمـشـقـ فـلـ يـتـالـكـ نـفـسـهـ بـالـرـائـحةـ الشـهـيـةـ الـتـيـ كـانـ تـفـوحـ مـنـ شـوـاءـ الـدـيـكـ ، فـقـرـرـ فـيـ نـفـسـ الـلـحـظـةـ أـنـ يـدـخـلـ ذـكـلـ المـسـتـشـفـيـ ، وـ دـخـلـ إـلـىـ غـرـفـةـ الـفـحـصـ وـ كـانـ يـنـ منـ الـأـلـمـ ، وـ فـصـهـ الـطـيـبـ بـعـنـيـةـ بـالـغـةـ وـ لـكـنـهـ لـمـ يـجـدـ عـنـهـ شـيـئـاـ يـبـرـ دـخـولـهـ الـمـسـتـشـفـيـ ، وـ قـدـرـ الـطـيـبـ بـالـأـسـلـةـ الـتـيـ كـانـ قـدـ وـجـهـاـ الـوـلـدـ إـلـيـهـ وـ الـتـيـ كـانـ تـعـلـقـ بـأـطـعـمـةـ الـمـسـتـشـفـيـ بـدـلـاـ عـنـ التـشـخـصـ وـ الـعـلاـجـ أـنـ الـغـرـضـ الـأـصـلـ الـذـيـ وـ كـانـواـ يـخـارـونـ الـمـكـانـ الـمـنـاسـبـ لـبـنـاءـ الـمـسـتـشـفـيـ بـعـدـ درـاسـةـ وـ تـفـكـيرـ طـوـيلـينـ ، سـاقـهـ إـلـيـهـ هـوـ التـمـتعـ بـأـلوـانـ مـنـ الطـعـامـ وـ الـمـأـكـولاتـ ، وـ أـمـرـ الـطـيـبـ بـادـخـالـهـ فـيـ الـمـسـتـشـفـيـ وـ اـقـتـرـحـ لـهـ قـائـمةـ طـوـيـلةـ مـنـ الـأـطـعـمـةـ الـلـذـيـذـةـ وـ الـمـشـروـبـاتـ الـجـيـدةـ ، فـأـكـبـ الـوـلـدـ عـلـىـ تـنـاـولـ تـلـكـ الـأـطـعـمـةـ الـلـذـيـذـةـ بـحـيـثـ لـمـ تـعـدـ عـنـهـ رـغـبةـ فـيـ الـأـكـلـ وـ أـبـتـ مـعـدـتـهـ عـنـ قـبـولـ أـىـ شـيـئـ مـنـ الطـعـامـ وـ الـشـرـابـ ، وـ هـنـالـكـ قـالـ لـهـ الـطـيـبـ : نـحـنـ الـعـربـ نـقـومـ بـحـقـ الصـيـافـةـ الـمـسـطـاعـ إـلـىـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ ، وـ قـدـ تـمـ

و كلـ شـيـ هـنـاـ تـرـغـبـ فـيـ النـفـسـ وـ يـنـجـذـبـ إـلـيـهـ الـقـابـ ، وـ يـنـورـ الـعـيـونـ ، فالـفـراـشـ وـ ثـيـرـ نـاعـمـ جـداـ ، وـ غـطاـوـهـ مـنـ قـاشـ الـحـرـيرـ الـمـشـجـرـ الـذـيـ يـصـنـعـ فـيـ دـمـشـقـ ، وـ الـلـحـافـ لـيـنـ مـثـلـ الـخـمـلـ ، وـ كـلـ غـرـفـةـ فـيـهاـ الـمـيـاهـ الـجـارـيـةـ ، وـ كـلـاـ

اشـتـدـ الشـنـاءـ تـدـفـأـ الـغـرـفـ كـلـهاـ فـيـ اللـيـلـ

وـ الطـعـامـ أـلـوـانـ وـ أـنـوـاعـ ، فـكـلـ يـوـمـ لـحـمـ الـدـيـكـ وـ النـعـاجـ الـمـشـوـيـ يـقـدـمـ إـلـىـ أـوـلـئـكـ الـمـرـضـ الـذـيـ مـعـدـمـ قـوـيـةـ تـحـتـمـلـهـ ، وـ هـذـاـ الـمـرـضـ الـذـيـ هـوـ بـجـوارـ يـتـارـضـ مـنـذـ أـسـبـوـعـ ، لـأـنـهـ كـانـ يـأـكـلـ كـلـ يـوـمـ صـدـرـ الـدـيـكـ الـمـشـوـيـ . وـ لـمـ اـنـكـشـفـ أـمـسـ هـذـاـ السـرـ عـلـىـ رـئـيـسـ الـأـطـبـاءـ أـمـرـ طـيـبـ الـغـرـفـةـ بـتـوـدـيـعـهـ مـنـ الـمـسـتـشـفـيـ بـعـدـ إـطـعـامـهـ لـحـمـ دـجـاجـةـ بـأـسـرـهـ . فـأـنـتـ يـأـبـتـ إـذـ أـرـدـتـ أـنـ تـرـأـيـ كـيـفـ آـكـلـ الـدـيـكـ الـمـشـوـيـ فـبـادـرـ إـلـىـ بـدـونـ أـىـ تـأخـيرـ ، وـ تـعـلـقـ الـمـؤـلـفـةـ عـلـىـ هـذـهـ الرـسـالـةـ فـتـقـوـلـ :

وـ الـحـقـيقـةـ أـنـ مـاـ جـاءـ فـيـ هـذـهـ الرـسـالـةـ يـنـطـبـقـ عـلـىـ جـمـيعـ تـلـكـ الـمـسـتـشـفـيـاتـ الـتـيـ وـجـدـتـ مـنـ أـلـفـ سـنـةـ مـنـ جـبـالـ هـمـلـاـ إـلـىـ الـجـبـالـ الـبـسـطـ فيـ كـلـ مـدـيـنـةـ كـبـيرـةـ مـنـ مـدـنـ الـمـسـلـمـينـ . فـيـ قـرـطـبـةـ وـ حـدـهـاـ كـانـ خـمـسـونـ مـسـتـشـفـيـ فـيـ أـوـاسـطـ الـقـرـنـ الـعـاـشـرـ ، وـ يـبـدوـ أـنـ قـرـطـبـةـ فـاقـتـ جـمـيعـ تـلـكـ الـمـسـتـشـفـيـاتـ الـتـيـ وـجـدـتـ فـيـ بـغـدـادـ مـنـ عـدـ الـخـلـفـيـةـ هـارـونـ الرـشـيدـ ، وـ الـتـيـ كـانـ تـعـتـبـرـ أـجـدـرـ نـمـوذـجـ بـالـتـقـلـيدـ وـ كـانـواـ يـخـارـونـ الـمـكـانـ الـمـنـاسـبـ لـبـنـاءـ الـمـسـتـشـفـيـ بـعـدـ درـاسـةـ وـ تـفـكـيرـ طـوـيلـينـ ، وـ لـمـ أـرـادـ الـخـلـفـيـةـ عـضـ الدـوـلـةـ بـنـاءـ مـسـتـشـفـيـ جـدـيدـ فـيـ بـغـدـادـ طـلـبـ إـلـىـ رـئـيـسـ الـأـطـبـاءـ أـنـ يـبـحـثـ لـهـذـاـ الغـرـضـ عـنـ مـكـانـ جـيـدـ ، فـأـمـرـ رـئـيـسـ الـأـطـبـاءـ بـذـعـ أـكـبـاشـ ذاتـ سـنـ وـاحـدةـ وـ تـعـلـيقـ أـجزـاءـ مـخـلـقـةـ مـنـ أـعـضـاـنـهـاـ مـنـ الـظـهـرـ وـ الـبـطـنـ وـ الـصـدرـ وـ الـفـخذـ فـيـ أـمـكـنـةـ مـتـعـدـدـةـ ، وـ اـخـتـارـ الـمـكـانـ الـذـيـ لـمـ يـتـغـيـرـ فـيـ الـلـحـمـ

[٧٦]

و صغاره من غير أى تمييز أو تفريق بين منازلهم ، فهو للراعي والرعية ، و الجندي والأمير ، و الصغير والكبير والحر والعبد والرجل والمرأة على السواء ، و هو لم يفتح إلا لكي يقوم بتوفير الخدمات الطيبة لكل من هؤلاء .

و قد ذكرت الكاتبة أيضاً أن بناء المستشفيات وإدارة شئونها لم يتوقف على الملوك وحدهم بل الأغذية وأصحاب الثراء والجاه كانوا يبنون المستشفيات و يديرنها أيضاً ، تقول :

« كان أصحاب الثراء والأموال يبنون المستشفيات و يشرفون عليها عدداً الخلفاء والملوك ، فثلا سنان بن ثابت و ثابت بن سنان بن ثابت اللذين كانوا ابن و حفيد عالم الهيئة المعروف ثابت بن قراء بنياً مستشفيات جيدة ، و أقاماً مستشفيات متنقلة . كانت تتجوّل في القرى والأرياف و تعالج المرضى » ، كان ثابت بن قراء عالم الهيئة الشهير من حران ، توفي في بغداد عام ١٩٠١ إنّه كان مسيحيّاً ، و لكن ابنه سنان بن ثابت تشرف بالاسلام ، و منذ ذلك الوقت ظل الاسلام في أسرته ، و سنان هذا كان يجمع بين على الطب والهيئة ، وكان هو طبيب ثلاثة من الخلفاء العباسيين الخلفية المقتدر ، والظاهر ، والراضي ، و كان مسؤولاً عن إدارة جميع المستشفيات في بغداد ، إنه وضع حدّاً لمارسة مهنة الطب على أنصاف الأطباء والمزورين منهم ، و أعلن أن الشهادات لمارسة مهنة الطب لا تعطى إلا لمن هو أهل لذلك بعد الفحص عن كفالتهم الطيبة ، توفي في بغداد عام ١٩٤٣ » .

و تقول الكاتبة :

« و كان العلاج مجاني . و مهما كان المريض غنياً أو فقيراً لم يكن

لكل ثلاثة أيام ، فرجوك أن تغادر المستشفى قبل أن تمرض ، والله يرعاك » ، في العالم الإسلامي ثلاثة مستشفيات تأسّت شهرة كبيرة ، وهي مستشفيات بغداد ، دمشق ، و القاهرة ، فأكبر مستشفى في بغداد أسسه الخليفة عضد الدولة ، وأشهر مستشفى في دمشق أسسه السلطان نور الدين ، أما مستشفى القاهرة الشهير الكبير فكان قد بناه السلطان المنصور قلاون ، وكل هذه المستشفيات الثلاثة تسمى حسب الترتيب المذكور بالعندى و النوري والمنصوري نسبة إلى مؤسسيها ، وكلها تمتّد في مساحات واسعة فكانت لكل قسم بناية مستقلة . و تتحدث الكاتبة حول بناء المستشفى المنصوري و تقول :

« قلاون كان ضابطاً شاباً في الجيش المصري ، و بينما كانت كتيبة نازلة بمقرية من دمشق فوجئ ، قلاون بوجع القولنج الشديد فكانت ترسل له الأدوية من المستشفى النوري ، فلما تم له الشفاء توجه لزيارة المستشفى ، و كان قد تعود رؤية مناظر القتل والدم في مساحات القتال ، فإذا به يجد المستشفى واحدة الوريرة تتمكنوا من قلبها وقعوا منه كل موقع ، فعاهر الله من ساعته أنه إذا آتاه الله الحكم و جعله سلطاناً لمصر وفي بعده برحابة صدر ، و أسس المستشفى المنصوري على الشارع الذي كان يقع بين القلعتين ، و كانت عماراته تبدو كقصر شامخ ، و قد أنفق على أدوات المستشفى و آلاته أموالاً طائلة جعلته من أرقى المستشفيات و أجملها في العالم ، و تقول في موضع آخر :

« و لما افتتح السلطان المنصور هذا المستشفى أعلن أنه هدية إلى نظراته [٧٨]

يبيها أنه كان يزور المرضى النازلين بالمستشفى كل يوم و يوجه تعليمات عن علاجهم و طعامهم ، ثم يتوجه إلى المدينة و يزور المرضى في الديوت ، ويلقي الحاضرة بعد ذلك على طلابه .

الدرس والمحاضرات في الطب :

يروى أصيبيعة الذي كان طيباً وشاعراً ، عادات رئيس الأطباء اليومية التي كان يشاهدها كل يوم ، وهي تشبه بأحوال

وعادات الأطباء في زماننا هذا ، يقول :

«أبو الحكم رئيس الأطباء في المستشفى النوري بدمشق كان يزور المرضى في كل صباح لكي يطلع على أحوالهم و حاجاتهم و يرافقه في هذه الزيارة مساعدوه و الخدم المخصوصون به ، الذين كانوا يدارون بكتابه كل شيء من العلاج و الطعام الذي يصفه لهم بغاية من الحبطة و الحذر . و ينفذون ذلك الموقفة والمسؤولون كانوا يرافقون جدول الحساب من الدخل والصرف بغاية من التفصيل ، و إن نظرة واحدة على دفاتر الحساب تعطينا فكرة واضحة عن مرتبات الأطباء ، و بما كان ينفق على توفير الأدوية و الآلات و الأدوات الأخرى ، و كان رئيس الأطباء مسؤولاً عن الأشراف على جميع الشؤون الطبية ، و كان يتم اختيار رئيس الأطباء بعد إجراء الفحص والاختبار اللازم بين جميع الأطباء ، ولقد اختير الراري رئيس الأطباء من بين مائة طبيب ، و كان يشرف على شئون ٢٤ طبيباً . كلهم كانوا أخصائيين في أمراض مختلفة » .

العلاج التي اختبرها في الأمراض المختلفة .

وكانت المستشفيات الكبيرة تستخدم ككلية الطب أيضاً وتنظم المحاضرات حول ذخائر علم الطب التي خلفها كبار الأطباء المسلمين كقراط و جالينوس في كل مكان ، في المساجد ، و مدارس الطب ، و المستشفيات ، ولم تكن

يكلف إقلاق درهم واحد ، فالسكنى . و الطعام والأدوية كلها كانت تتوفر له مجاناً ، حتى الملابس أيضاً كانت تهدى للمرضى هذا ماداموا في المستشفى أما عند مغادرتهم فكانوا يعطون مبلغاً محترماً كمساريفهم الخاصة لمدة شهر ، و لا شك أن هذه الساحة في إقلاق المال كانت تحوج المسئولين إلى وضع ميزانية هائلة ، فكان المستشفى المنصورى يكلف مليون درهم سنوياً ، و الذى كان يؤسس المستشفى يخصص له ضياعة كوقف عليه ، تقوم بادارته كبار الحكم في الدولة . و هؤلاء الحكم كانت تراقبهم الحكومة ، و كان يختار من بين الأمراء من يشرف على أمور المستشفى ، كما أن المسلمين من الرعية كانوا يرافقون شئونه فيينة لأخرى ، بالسؤال والتفتيش عن الشكاوى ، وهكذا وجدت هناك سلسلة مستمرة من الاشراف و التعهد .

أما مرتبات الأطباء والمساعدين و الخدم فكانت تعطى من دخل الضياع الموقوفة والمسؤولون كانوا يرافقون جدول الحساب من الدخل والصرف بغاية من التفصيل ، و إن نظرة واحدة على دفاتر الحساب تعطينا فكرة واضحة عن مرتبات الأطباء ، و بما كان ينفق على توفير الأدوية و الآلات و الأدوات الأخرى ، و كان رئيس الأطباء مسؤولاً عن جميع الشؤون الطبية ، و كان يتم اختيار رئيس الأطباء بعد إجراء الفحص والاختبار اللازم بين جميع الأطباء ، ولقد اختير الراري رئيس الأطباء من بين مائة طبيب ، و كان يشرف على شئون ٢٤ طبيباً . كلهم كانوا أخصائيين في أمراض مختلفة ، و ذكرت الكاتبة برواية أصيبيعة (١) عادات رئيس الأطباء ، و من

(١) هو أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبيعة السعدي الخزرجي ، ولد في دمشق عام ٤٢٠٣م ، و توفي في صرخد سنة ٤٢٧٠م ، عين طيباً في المستشفى الناصري بالقاهرة ، له كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، معروف بين الناس ، يتناول ترجمة طيب مسلم عدا غير المسلمين ، و لهذا الكتاب أهمية كبيرة في تاريخ الطب الإسلامي .

الأطباء ، و أوصاه باعطاء شهادة لكل طبيب بمحارسة مهنته في الناحية الفنية التي اختص فيها ، وكان عدد الأطباء الممارسين وقتئذ في بغداد وحدها عدداً الأطباء الحسكونيين ثمان مائة و ستين طبيباً ، بينما لم يكن يوجد ولا طبيب واحد في ساير « رينغو » (Rheingau).

الأخصائيون

لامتحان خبرة كل طبيب وجراح في القسم الطبي الذي يختص فيه ، تحدث الكاتبة و كان الغرض من هذه الاختبارات أن لا يتعدى أي طبيب حدود علمه و خبرته ويختار منه الطب ، والشئ الذي كان يلاحظ في امتحان الجراحين قبل كل شئ هو أن الجراح مطلع على الموضوع . وخاصة هل هو درس كتب « إيجينا بولسي » و علي بن العباس في هذا الموضوع أم لا ؟ ثم كانت تتحقق معلوماته العلية ، فثلا إلى أي مدى يعرف علاج تكسر العظام أو انخلاع المفاصل ، و ما هي براعيته الفنية في استخراج حصانة العادة أو غدة العنق .

ثم كان يختبر في مهارته بعلاج إلزام عدسة العين و جراحية الإصابات الجسمية و قطع الأعضاء وفتح الهامة ، فالشهادة التي كانت تمنح الجراحين العادين كانت تتضمن على العبارة الآتية :

نجيز حامل هذه الشهادة سالحين له التوفيق من الله عز وجل أن يمارس مهنة « الجراحية » إلى حد خبرته فيها ، وندعو الله له بالفوز والسعادة في هذه المهنة ، إنه يستطيع أن يعالج مرضه حتى الندمال جروحة ، ويفصد ، ويعالج البواسير ، و يقلع الأسنان ، وإذا أشكل عليه شئ من طرق العلاج يجب أن يراجع الخبراء من الأخصائيتين للاستشارة .

و للتوفيق من الأخظاء الفنية قدر المستطاع و ل إعادة الثقة بالتشخيص

محاضرات هذه المستشفيات محصورة في قاعات التدريس بل كانت تتدعاها إلى غرف المرضى ، حيث تكون أحوال المرض و المريض نصب الأعين ، و يتلقى الطالب دروساً عملية ، و هكذا كانت النظرات الطبية يجري على محك المشاهدات ، فتكون فرش المرضى وأجسامهم من أهم وسائل الدروس العملية في الطب ، و التظاهر بعلم الطب ، أما طريق علاج الأمراض المعضة فكان يقىده الأطباء بصورة عملية ، و يتداولون فيه الآراء من نواح مختلفة .

و قد سجل أصيحة تجاربه أيام دراسة علم الطب ذكر فيها رئيس الأطباء وأسلوبه حول مشاهدة المرضى مع الطلاب . و كيف كان يشخص المرضى و يصف العلاج في عيادته الخاصة ، وكم يشتغل إقبال الطلاب على استشارة دور ينه و بين طيب آخر و يستفيدون من خبراتهم ، و هكذا كانوا يرتبون بالطب العملي منذ أيام دراستهم ، وتنشأ فيهم ملكة العلاج إن طريق تعليم الطب هذا لم يكن له وجود في أي جزء من العالم سوى العالم الإسلامي ، و لم يزل هذا الطريق مقبولاً حتى في العصر الحاضر ،

الطب كهنة : و علقت الكاتبة على الطب كهنة و أثبتت أن إيمان دراسة الطب وحده لم يكن يكفي لمحارسة هذه المهنة ، و ذات مرة مات أحد المرضى من أجل خطأ في صدر من أحد الأطباء ، فلما علم بذلك الخليفة أصدر تعليمات شديدة ، و اتبعه الملوك الذين جاؤوا بعده في ذلك . تقول :

« في عام ٩٣١هـ اطلع الخليفة المقترن بالله أن أحد المرضى مات من خطأ في صدر من بعض الأطباء ، فأصدر فور ذلك تعليمات تقييد اختبار كل طبيب من الناحية الفنية ، فإن ثبتت كفاءته الفنية يمنح شهادة خاصة ، ولتحقيق هذا الغرض وضع الخليفة لجنة من الأطباء باشراف سنان بن ثابت رئيس

تشخيص المرض : كيف كانوا يشخصون المرض ؟ فقد ذكرت الكاتبة تفاصيل ذلك بشرح طويل ، و نحن نذكرها بابجاز :

ما كانوا يركزون عنائهم على العضو المصابة فحسب بل كانوا يسألون عن عادة المريض وأخلاقه وأسلوب معيشته وعن أمراضه السابقة والأمراض التي عمت في أسرته بوجه خاص ، لقد كان الطيب يوجه الأسئلة عن جميع هذه الأمور بصبر وأناء ، و يسجل من الجواب ما يراه لازماً (و هكذا الشأن في أطبائنا اليوم) ثم يتمتحن الطيب وجه المريض بتأمل دقيق ، ويستنتج من ألوان الجلد والشعر ، ثم يفحص عن تنفس المريض ، كما كان يرى من الضروري أن يعرف طبيعته و هوائه و حالته العقلية ، كان يوجه أسئلة مختلفة إلى المريض ويقدر بجواهه كفائه العقلية ، وكذلك كان المريض يؤمر بالقيام بأنواع من الأعمال ويراقبه الطيب ، ويقدر منه مدى التزام المريض بالتعليمات التي توجه إليه حول العلاج ، و كان الطيب يقدر كذلك الأمور التي تبعث فيه دافع العمل و التي تسيطر عليه ، وقد لا يستطيع أطباء اليوم أن يشخصوا المرض مثل ما كان يشخص ابن رضوان رئيس الأطباء في القاهرة في زمانه ، الذي كان من تعليماته الطيبة لتشخيص المرض أن يساور الطيب مريضه لكي يختبر قوة سمعه ، وكذلك لاختبار قوة البصر يستفسره عن الأشياء البعيدة و القرية ، ولاختبار حالة القلب يحتاج إلى الخبرة في معرفة النبض ، ويومر المريض بالاضطجاع و تحريك اليدين وراء الرجلين لاجراء امتحان الأعصاب و لامتحان الكبد والكلية يضغط مكانهما من فوق ، و يتمتحن البول والبراز .

أما ابن سينا فإنه يرى أن النتيجة الصحيحة إنما يستتبع من البول الأول في الصباح ، ولا ينبغي أن يمر عليه وقت طويل قبل امتحانه ، ولا أن يكون

و العلاج إلى قلوب المرضى كانت تعقد لجنة استشارية للأطباء يرأسها أكثرهم خبرة و سناً ، ويسجل إجراءات اللجنة أصغرهم سناً، أما في عمليات الجراحية فكان جراح يساعد أخيه كا هو الشأن في عمليات الجراحية اليوم ، وقد يكون هناك ثلاثة جراحين يشرف أحدهم على إغاثة المريض ، والآخر يراقب النبض ، و الثالث يقوم بالعملية .

و ذكرت الكاتبة عن « الجراحية » تعليمات على بن العباس (١) :

خذوا بالحظة البالغة في تصفية اللحم حول الورم TUMOUR بعد شق الجلد ، حتى لا يصاب عصب أو عرق ، وإذا كان لا بد من قطع شريان فبادروا بربطه لكيلا يسيل دم ، لأن سيلان الدم يعرقل العملية ويسبب النقص بيقي هناك جزء منه في جانب ما ، فإن بي آخر جوهر بحطة ، وإذا كان الجلد قد توسع من أجل ذلك الورم فاقطعوا الجزء الزائد منه ، ثم خيطوه بخيط أما السرطان فلا أثر فيه لأى دواء فيلزم استخراج جميع جذوره ولا ينبغي الاكتفاء بقطع ورم السرطان فقط بل يقطع جميع جذوره مهما كانت عتدة ،

(١) ولد على بن العباس في الاهواز وتوفي عام ٩٩٤هـ ، كان في الطبقة الأولى للأطباء المسلمين ، عاش في عهد الخليفة عضد الدولة وله كتاب مهم في علم الطب أسماه « كتاب الصناعة الطبية » يحتوى على ٢٠ محاضرة ، عشر منها يتضمن الطب النظري وعشر الطب العملي ، وهذا الكتاب يبلغ في مستوىه مبلغ مؤلفات الطبيبين الكبيرين أبي بكر الرازي ، وابن سينا ، ويتناول مشاهداته الطبية الغريبة أيضاً .

مهرجان تعليمي لندوة العلماء

بمناسبة مرور ٨٥ عاماً على تاسيسها !

[سماحة الأستاذ السيد أبي الحسن على الحسني الندوى]

أنشئت ندوة العلماء بالهند عام ١٣١١ھ - ١٨٩٤م كحركة إسلامية علمية إصلاحية جامعة ، وأصبحت محطة أنظار الشعب المسلم و معقد آماله في وقت يسير ، وكانت احتفالاتها السنوية العامة التي امتازت بالجذب بين مختلف الفئات و الطبقات و الشخصيات رمزاً على أصالة هذه الحركة وعمقها ونبوها واتساع رقعتها و منطقة نفوذها .

قامت ندوة العلماء على أسس واضحة سليمة ، استهوت القلوب و استمالت الأذهان و العقول ، و جذبت الطبقة الوعية والجماهير الشعبية العامة ، ويمكننا أن نلخص هذه الأسس في النقاط التالية البارزة :

★ **أولاً** : تطوير المناهج التعليمية الدينية . و وضع منهج دراسي مستقل يحقق متطلبات العصر و حاجات الجيل ، و يقوم على أساس الكتاب و السنة و الفهم الديني السليم .

★ **ثانياً** : تخريج علماء راشدين في العلم متضلعين من الروح الدينية عارفين بروح الثقافة العصرية و موجاتها خبراء بالقلق النفسي والاجتماعي والأزمات الفكرية و العقائدية التي يعالجها الجيل الجديد .

★ **ثالثاً** : بث روح التضامن و التعاون العلمي الوثيق في الشعب المسلم .

★ **رابعاً** : نشر الإسلام خصوصاً في الأجانب وغير المسلمين من أبناء الوطن . و نحمد الله تعالى أنه وفق هذه الندوة لتحقيق كثير من هذه المرامي البعيدة والأهداف النبيلة ، واعترفت بفضلها وسبقهـا في هذا المضمار الأوساط العلمية و الإسلامية على اختلاف وجهاتها و اتجاهاتها ، و كانت أكبر مأثـرة لندوة العلماء و انتصار رائع من انتصاراتها أنها ملأت تلك الفجوة الغـيرة

المريض قد شرب مقداراً كبيراً من الماء في الليل ، ولا أن يكون قد أكل زعفراناً أو رماناً لأن أكلهما يغير لون البول ، كما أن الصيام و الرياضة ، والاستيقاظ متأخراً أو الاستغلال بعمل غير عادي يؤثر على لونه ، وكذلك لون البول بعد الجماع يكدر قليلاً ، والقيء أيضاً يؤثر على لونه ، وقد كان هؤلاء الأطباء يسجلون كل شيء يجده عن الاعتدال ، وكل مريض في المستشفى يخضون بأحواله مضبوطة (PROTOCOLS) يحفظ بها ، وكانت تتضمن نتائج الامتحانات التي أجريت عليه ، وصفات الأدوية ، وتأثيرها ، وحالته التدريجية ، وتكون هذه المضباطات تاريخياً مفصلاً لاقامة المرضى وعلاجهـم في المستشفى ، وفي صورة هذه المضباطات التي وضعت في مستشفيات بغداد والروى الكبير في الربع الأول من القرن العاشر ، ألف كتاب ضخم في فن الطب درسه أطباء أوروبا مدة قرون ، وهذا الكتاب كنز ثمين لشهادات التجارب الطبية ، كان قد ألفه كبير الأطباء تلاميذه في القرون المتوسطة الذي يتبعه مكانة عالية في كل عصر و مصر ،

و اسم هذا الكتاب « الحاوي » ، و اسم مؤلفه أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، الذى يسميه أهل أوروبا (RHAZES) ، و له صورة معلقة في قسم الطب بجامعة باريس .

الاسلامي ، و كبار العلماء و المفكرين و الدعاة ، و خبراء التعليم و التربية ، و قادة الفكر الاسلامي و الدعوة الاسلامية في الوطن الاسلامي الكبير . و سوف تستعرض في هذا المهرجان تلك الجهود و التجارب التي كانت حصيلة دراسات طويلة و تأملات عميقة في هذا الصراع الفكري الدائر بين الاسلام و اللادينية ، و الفكر الاسلامي و الفكر الغربي الذي تجلّى في بلادنا في أوسع نطاق و تحاول الاستفادة - بنفس الوقت - من خبرات إخواننا في البلاد الاسلامية الأخرى و تجاربهم و أفكارهم الحصيفة الرائدة في حقل الفكر الاسلامي و المناهج التعليمية المستقلة والثقافة الأصلية والجوانب الاجتماعية و التربوية و الدعوية الأخرى التي تستحق الدراسة و الاهتمام ، نقدم فيه ملخص من مساقات ندوة العلماء في الرصيد العلمي و الأدبي و الثقافي و التعليمي في العالم الاسلامي بصورة عامة و في هذه البلاد بصورة خاصة و التواجد فيها و تأثيرها و رسالتها و منهاجها الفكري و التعليمي ، الفكرية و العملية التي تأثرت بدعوتها و رسالتها و منهاجها الفكري و التعليمي ، و كيف وجه الجيل المعاصر فكريًا و عقليًا و كيف صارت نقطة التقاء و جسر ود و إيمان بين المفكرين المتشاربين معسكري القديم و الجديد .

و يتيح لنا هذا المهرجان التاريخي الكبير فرصة نادرة للاطلاع على ذلك العام - انقطعت منذ خمسين عاماً لأسباب قاهرة لا حاجة إلى ذكرها .

و الآن في هذه الرحلة التاريخية الممتازة بعد أن قامت بين ندوة العلماء و بين العالم الاسلامي أجمع روابط أخوية وطيدة ، بل كانت ندوة العلماء في عبارة أصح ، أقوى وسيلة للتنمية بهذه البلاد في العالم العربي و التعريف بها تعريفاً لائقاً جيلاً على مستويات شتى علمية و ثقافية ، و بعد هذه التحولات العظيمة التي مرت بها البلاد الاسلامية في ربع قرن من الزمان في كل ميدان ، صاح عزمنا - بحول الله و توفيقه - متوكلين عليه - على عقد مهرجان تعليمي لندوة العلماء بمناسبة مرور ٨٥ عاماً على نشأتها ، يساهم فيه أقطاب العالم زمن طوبل .

الواسعة التي لم يعرّفها الاسلام و تاريخ المسلمين في دوره الأول بين الطبقة العصرية التي أثبتت على كل طريق و جيد و الطبقة التي عكفت على كل قديم و تليد .

وكانت هذه أول تجربة اجتماعية بعد ازدهار الحضارة الغربية والاستعمار البريطاني الذي جثم على صدر الشعب المسلم في شبه القارة الهندية منذ مائة سنة أو تزيد .

إن ذلك النداء الذي ارتفع مدوياً بجلجلة من ندوة العلماء في هذه البلاد الواسعة الأرجاء ، و هذا المحصول الفكري و الزاد العلمي و اليماني الذي قدمه أبناء ندوة العلماء و أعضاؤها في مجالات العلم و الدين ، و الأدب و التاريخ ، و التعليم و التربية ، و الثقافة و الآداب ، محصول لم يستغن عنه بحث ثقافي و مدرسة فكرية وأدبية في هذه البلاد ، و اعترف به وأجمع عليه الانصار و المعارضون على السواء .

و من الأسف البالغ أن هذه الاحتفالات و المهرجانات الجامعية - التي حملت هذه الدعوة على أكتافها وكانت عاملاً قوياً من عوامل انتشارها وقوتها - انقطعت منذ خمسين عاماً لأسباب قاهرة لا حاجة إلى ذكرها .

و الآن في هذه الرحلة التاريخية الممتازة بعد أن قامت بين ندوة العلماء عبارة أصح ، أقوى وسيلة للتنمية بهذه البلاد في العالم العربي و التعريف بها تعريفاً لائقاً جيلاً على مستويات شتى علمية و ثقافية ، و بعد هذه التحولات العظيمة التي مرت بها البلاد الاسلامية في ربع قرن من الزمان في كل ميدان ، صاح عزمنا - بحول الله و توفيقه - متوكلين عليه - على عقد مهرجان تعليمي لندوة العلماء بمناسبة مرور ٨٥ عاماً على نشأتها ، يساهم فيه أقطاب العالم [٨٨]

الاتفاقية الإسلامية تتطلب الربانيين لا السياسيين ؟

[هذه رسالة من المهندسة الأمريكية الفاضلة الكاتبة الشهيرة مريم]
 [جميلة وجهتها إلى سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسني التدوى]
 [وهي تحمل انتطاعاتها حول الطبعة الأنجلizية لكتابه المعروف]
 [به ، الأركان الأربع] ، نشرها في هذا العدد - وقد سمعت [
 [بذلك - لأنها تكشف عن بعض الحقائق الخامة التي ذر عليها]
 [الغبار في العهد الأخير] ، واحتاجت من سوء الحظ عن [
 [أنظار كثير من المثقفين و رجال العلم ، كما أنها تدل بنفس]
 [الوقت على فهم الكاتبة المرموقة و ذكائها ، و حصافة رأيها ،]
 [و نرجو أنها ستتلقى ما تستحق من العناية والاهتمام]

١٩٧٥ م / إبريل

حضره الأخ الكريم في الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

و بعد فقد تلقيت رسالتكم الأخيرة المؤرخة ٢٢ / مارس ١٩٧٥ م

وأشكركم عليها ، وكنت قد تلقيت قبلها الرسائلين المؤرختين ٢٠ / يناير و ٣ / مارس
 و ٢٤ / مارس ١٩٧٥ م ، و علمت بها أن كتبى و رسائلى التى أرسلتها لكم قد وصلت .

و تسلمت بالبريد المسجل كتابكم الجيد الممتاز ، الأركان الأربع ،
 (الطبعة الأنجلizية) و هو أجود و أكمل كتاب - فيما اعتقد - بين جميع

الكتب التى ظهرت فى هذا الموضوع إلى الآن باللغة الأنجلizية ، و اسمحوا
 لي أن أقول بكل صراحة بأن معظم الكتب التى ألفها الكتاب المسلمين في

[٩١]

و سيقام هذا المهرجان - باذن الله - في أيام الجمعة والسبت والأحد ،
 في ٢٦ / ٢٥ / ٢٧ من شوال سنة ١٣٩٥ هـ ، الموافق ٣١ / أكتوبر أول نوفمبر
 ١٩٧٥ م في ميدان ندوة العلماء الواسع الكبير و يشمل استعراضات
 علمية و ثقافية و تاريخية مختلفة و ندوات و محاضرات و احتفالات شعبية
 عامة و دراسات إسلامية هادفة ، ومعرضًا جميلاً يصور حركة التأليف والنشر
 و الترجمة و أهميات الكتب و مراجع البحث و نوادر المخطوطات والمؤلفات ،
 على مر الزمن .

وأنشئ لهذا الغرض مكتب تنفيذى لادارة أعمال المهرجان و التعريف به
 في مختلف أنحاء العالم الإسلامي و نظمت لجان خاصة لادارة أعماله و الاهتمام
 بشؤونه الادارية و الفنية المختلفة .

فنرجو من جميع من يهمهم أمر ندوة العلماء و جهودها وجهادها في هذه
 البلاد ، و أمر الدعوة ; و مستقبل هذا الجيل الذى ظل فريسة الدعوات
 الجاهلية والحملات الصليبية والغزو الغربي العام منذ زمن طويل ، أن يساهموا
 في هذا المهرجان بخبراتهم و تجارتهم و آرائهم ، كما نرجو من أبناء ندوة العلماء
 و سائر العاملين للإسلام الساهرين على خدمة العلوم الإسلامية أن يتعاونوا
 معنا بكل إمكاناتهم .

و نرجو الله التوفيق و الرشد و السداد ، والحمد لله لما فيه خير الإسلام
 و فلاح المسلمين - و الله ولي التوفيق - .

(عنوان المراسلات)

المكتب التنفيذي للمهرجان التعليمي لندوة العلماء

ص. ب ٩٣ ، لكهنو (الهند)

P. O. Box - 93 - Lucknow (India)

[٩٠]

حركة تربوية يوحي بها الجماهير المسلمة بكل قوة وحماس يجب أن تنسى إعجاب الناس ولا تعنى بالعقل والمنطق خسب بل تعنى بالقلب والعاطفة أيضاً وتلك هي الجذوة الكامنة للعاطفة - وقد تجردت عنها بحوث العلماء المنطقية الباردة الهاشمة - التي سببت ازدهار الربانية المدهش في تاريخ الإسلام .

و إنني لا أزال أعتقد من أول يوم أن لكتاب « إحياء علوم الدين » للغزالى دوراً كبيراً في مهمة الطلب للعلوم الدينية ، فإنه كتاب فريد من نوعه يبحث عن الأركان الأربع سبأ الصلاة التي يبحث فيها بما لا مزيد عليه حتى إن كتابات شيخ الإسلام ولـ الله الدهلوى تتلوه ولا تفوقه ، إلا أنكم موفقون كل التوفيق في نقل أفكار هذين الرجلين الكبارين إلى الجيل المعاصر بلغة العصر وأسلوبه ، و زدتم عليها المقارنة بين عادات الديانات كالهندوسية والبوذية واليهودية والنصرانية ، و هناك ميزة أخرى لكتاباتكم . . هي أنني قرأت إن كتابكم « رجال الفكر و الدعوة في الإسلام » وخاصة الجزء الثاني منه ، الذي يبحث في أسلوب على ناصح عن الخدمات و المآثر العظيمة التي قام بها علماء السلسلة الحشية في الهند في سبيل البعث الإسلامي ، قد أقنعني تماماً بأن الاتفاقية الإسلامية تتطلب الربانيين لا السياسيين ، ولم أعد أثق في النجاح بأن الفوز في الانتخابات أو التمكن من السلطة السياسية يمهد الطريق إلى هذه الاتفاقية ، ومن سوء الحظ فإن نظام التربية الجديد ، ووفرة الوسائل العامة ، وحجمات المادية المتتابعة على العلم و المعلومات ، قد أحدث كل ذلك عراقباً كثيرة في ظهور عالم رباني من الطراز الأول في هذا العصر ولكن الله على كل شئ قادر ، ولا شك فإن دعوة على غرار الدعوة الحشية تستطيع أن تؤكّد كلها وتشمر ثمارها اليائمة أكثر من أي حركة تدعى بالحركة « الإسلامية » ، و لذلك فكل

هذا الموضوع لم يعجبني ، إذ أن أسلوب بعض الكتاب ركيك للغاية لا يعدو الخط القانوني والرسمي ، كما أن أكثر علماء المسلمين يتعرضون لل موضوع بلهجة سلية جارحة ، ويحاولون أن يضطروا المسلمين الغافلين عن هذه العبادات إلى تأديتها بتخويفهم من عذاب الآخرة الآليم ، وتوجيه إنذارات غلبة قلوبهم وحشة و خوفاً فيقبلوا عليها ، خائفين لا مقتنعين ، و من الذى ينكر عذاب الآخرة ، إلا أن هذا الأسلوب السلي يسيئ الظن بالاسلام لدى العقول الجديدة و يهدى لها الطريق إلى الأخاد و المادية ظناً منها أن الاسلام « تعبير عن القيد الظلمة ، والاجبارات القاهرة » .

أما الربانية (وتسمى في أكثر الأحيان بالتصوف) التي قد بالغ في التشريع عليها بعض الكتاب فهي بمثابة المهنة الطيبة فيما أرى ، و هل هناك من يستغنى عن الطب و العلاج مجرد أن في المجتمع أنصاف الأطباء !

إن كتابكم « رجال الفكر و الدعوة في الإسلام » وخاصة الجزء الثاني منه ، الذي يبحث في أسلوب على ناصح عن الخدمات و المآثر العظيمة التي قام بها علماء السلسلة الحشية في الهند في سبيل البعث الإسلامي ، قد أقنعني تماماً بأن الاتفاقية الإسلامية تتطلب الربانيين لا السياسيين ، ولم أعد أثق في النجاح بأن الفوز في الانتخابات أو التمكن من السلطة السياسية يمهد الطريق إلى هذه الاتفاقية ، ومن سوء الحظ فإن نظام التربية الجديد ، ووفرة الوسائل العامة ، وحجمات المادية المتتابعة على العلم و المعلومات ، قد أحدث كل ذلك عراقباً كثيرة في ظهور عالم رباني من الطراز الأول في هذا العصر ولكن الله على كل شئ قادر ، لا شك فإن دعوة على غرار الدعوة الحشية تستطيع أن تؤكّد كلها وتشمر ثمارها اليائمة أكثر من أي حركة تدعى بالحركة « الإسلامية » ، و لذلك فكل

أختكم المسلمة
مريم جميلة

أخبار اجتماعية و ثقافية

★ هيئة الطلاب المسلمين في كلكتا تقيم دورتها .

★ أقامت هيئة الطلبة المسلمين في كلكتا بالهند الشرقية دورة محاضرات إسلامية على نطاق واسع في الأسبوع الأول من شهر يونيو ، وقد وجهت الدعوة إلى ساحة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوى الأمين العام لندوة و التحقيق ، وإلى طرق التربية المتعددة من تعليم و تبليغ و رياضة جسمية ، و حلقات تربية و توجيه ، و تنظيم محاضرات ، و استقبال شخصيات بارزة و الترحيب بهم ، و ممارسة أعمال خيرية ، و تمرين على الخطابة و الكتابة في اللغات العربية و الانجليزية و الأردية .

و لذلك لم تكن ندوة العلامة مدرسة فكرية فحسب ، و لا دعوة إلى إصلاح مناهج التعليم فقط ، بل كانت حاجة العالم الإسلامي كله و ضالته التي كان ينشدها من مدة بعيدة ، يقول سماحة الأستاذ أبي الحسن على الحسني الندوى في كتابه « الصراع بين الفكرة الإسلامية و الفكرة الغربية » .

و كانت حركة ندوة العلامة فكرة و مدرسة فكرية أكثر من حركة إصلاح مناهج التعليم فحسب ، وكانت — لو قدر الله — خطوة مباركة ، و فتحاً جديداً يستحق التقليد في الأقطار و المجتمعات الإسلامية التي خاضت في ذلك العهد في معركة الصراع بين القديم و الجديد... و لازالت فكرة ندوة العلامة الفكرة الوسط الحقيقة التي تستطع أن تتفقد نظام التعليم الديني من الانحراف ، و تفادى بها الأمة الصراع بين القديم و الجديد ، و وجود طبقتين مناوئتين متافستين ، طبقة علماء الدين . و طبقة رجال الثقافة الحديثة ، وأقول: إن ندوة العلامة لم تكن حاجة العالم الإسلامي و ضالته المنشودة بالأمس كهياليوم ، وإن أهمية هذه الحركة ، و الفكرة ، و الدعوة ، تزايدت هذه و توسيع اليوم مرات كثيرة بالنسبة إلى أمس .

★ كيف يمكن استباب الأمن . . .

انتقد سماحة الشيخ الندوى في خطابه الأخير الذي ألقاه في اجتماع ضخم عقد في لكتهنو في ٢٢ مايو نظم الحكم القائمة في الدول المتحررة حدثاً . وقال: إنها وجهت الاهتمام في رسم سياستها إلى رفع مستوى المعيشة والرفاهية المالية و التقدم جرياً وراء ركب الحياة في الدول الراقية ، وقد أحدثت هذه السياسة اتجاهآً خلقياً معيناً و هو الشراسة ، و حب المال و حب النفس و الآثرة فيسعى كل فرد و أكثر منه كل مثقف بمعنى الكلمة إلى كسب

سعيد الأعظمي الندوى

إلى قرائنا الكرام

يسرنا أن نزف إلى قرائنا الكرام بشري إصدار عدد متاز
لجلة «البعث الإسلامي» بمناسبة المهرجان التعليمي المزعيم عقده في
شوال القادم ١٣٩٥ - أكتوبر ١٩٧٥.

وسيضم هذا العدد المتاز ثلاثة أعداد للجلة، شعبان،
رمضان وشوال، ويصدر في الأسبوع الأول من شوال القادم
- ياذن الله -

وسيشمل هذا العدد استعراضاً شاملًا لحركة ندوة العلماء
وخدماتها ومشاريعها وأعمالها، وخططها التي تحققت في بعض
المجالات وتنتظر أن تتحقق في بعضها، وكل ذلك في ضوء الحقائق
والأرقام والمعلومات والصور، سيقع هذا العدد في ٣٠٠ صفحة
حسب التقدير المبدئي، ويطبع في مطبعة ندوة العلماء على ورق
صفيق - ياذن الله -

نرجو حضرات القراء الكرام والمشتركون في الجلة أن
لا يتربوا بالمجلة في هذه الفترة وسوف يصلهم العدد المتاز
إن شاء الله تعالى في شوال القادم، فاعمل المقام.

«التحرير»

وسائل توفر لذاته ولأسرته حاجات هذه الحياة المثالية لديه، سواء ساقه
مطامعه إلى السرقة، أو اختلاس المال عن طريق الرشوة أو المكيدة،
أو أي طريق آخر، وذكر مثالاً لم يعد غريباً في الظروف الراهنة أنه في
وقت حادثة قطار، أو تحطم طائرة، يهرب الناس إلى مسرح الحادثة، وهم
يطعمون في اتهام الكارثة الإنسانية لاختلاس ساعة مربوطة على ساعد رجل
جرح أو قتيل، أو سلب شيء آخر من الأمتעה التي يحملها الركاب من الأقشة
أو الهدايا أو مواد أخرى. وقد تكرر الحادث مراراً لهم بدلاً من الإسراع
إلى الإغاثة وإطفاء الحريق، ونقل الجرحى إلى المستشفيات، أو إطعام
الأطفال وإنقاذهما، شوهدوا منهمكين في أعمال السلب والنهب، قبل
أن يصل البوليس، وعندما يصل البوليس فيحل محل هذه الغوغاء ويقوم هو
الآخر بنفس العمل بطريق أقسى وأشقي.

إن هذا الوضع كما أكد سماحة الشيخ الندوى ناج عن إغفال روح
الإنسانية و الشعور بالمسؤولية في القائمين بأمور النظام وأوليات الأمر، فأصبح
الإنسان في كل مجال وموضع اتهامياً، أشبه إلى حيوان مفترس منه إلى بشر.
وقد تأثر بذلك كل مرافق من المرافق، فكل معاناة الإنسان تشير فرصة
لأنسان آخر يجلس على كرسى الحكم، أو القضاء، فيعامل العانى والمعتبر
معاملة العدو والأسير، فيستغل الوضع، وذكر سماحة الشيخ الندوى مشاهد
هذا النوع من استغلال مرافق الحياة للصلحة الذاتية التي تنتشر في البلاد، على
محطات وعربات سكة الحديد، ودور القضاء والمحاكم، والمكاتب، ودور
التعليم، ونظام الأحزاب السياسية، ومعاهد الحرف، ومراكز العمل،
وحتى في القطاعات الإنسانية لحياة البشر، وقال: إننا نعامل بلادنا معاملة
المستعمر للبلاد المستعمرة أو الخمية، واختتم خطبته كما استهل خطبته ببيت
يقول: احترقت الدار بسراج الدار و مصباحها.